الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية
(١٩١٨ - ١٩٤٥م)

أولاً: الأنشطة الاقتصادية التقليدية

النظام الاقتصادي في اليمن اقتصاد معيشي يوفر الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية، والمنتجات الحيوانية، لتلبية احتياجات المعاش الفردية، بحيث كانت المحاصيل الزراعية أو المنتجات الحيوانية التي تقايض أو ترسل للبيع في الأسواق والمدن، كانت هي الأخرى في حدود الحصول على السلع الاستهلاكية الفردية، وبعض المنتجات الأخرى الخاصة بالاستهلاك المحلي، وذلك دون القيام بمحاولة الحصول على الربح كما هو الحال في الاقتصاد النقدي السوقي[١].

وفي شمال اليمن انتهج الإمام يحيى سياسة العزلة والانغلاق، وذلك لتخوفه من مطامع الدول الأجنبية، والوقوع في شركها إثر تقسيم الدول العربية بعد الحرب العالمية الأولى[٢]، وقد أدت سياسة العزلة إلى تعميق الكساد في المجال الاقتصادي، وبقاء العلاقات القديمة في المدينة والريف، كما ساعدت على الاحتفاظ بالطبيعة البدائية للاقتصاد، وأعاقت نمو وسائل الاتصالات الحديثة والطرقات والنظام النقدي وغيره[٣]، وكانت السبب في تخلف مناطق الشمال عن غيرها من المناطق العربية، كما لعبت المؤثرات الخارجية أيضًا دورها في تخلف مناطق شمال اليمن فقد عملت بريطانيا وإيطاليا - الساعيتان إلى تعزيز نفوذهما في اليمن ومناطق البحر الأحمر - عملتا على تشجيع انتفاضات القبائل ضد سلطة الإمام[٤].

وفي جنوب اليمن اهتمت السلطات الاستعمارية بمصالحها الخاصة، ولم تعر أي اهتمام لمتطلبات التطور الاقتصادي والاجتماعي، وركزت سياستها في

---

(١) فضل علي أبو غانم. المرجع السابق. ص ١٨٢.
(٢) محمد يحيى الحداد. التاريخ العام لليمن. شركة دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م. ص١٠٧.
(٣) مجموعة من المؤلفين السوفيت. تاريخ اليمن المعاصر. ص ٣١.
(٤) أحمد محمد بن بريك. المرجع السابق. ص ٢٧٣.

جنوب اليمن أساسًا على توسيع وتعزيز تجارتها وقاعدتها الحربية في عدن، والحفاظ على أمن ميناء عدن، أما مناطق المحميات الداخلية فلم تشكل من جهة نظرها أي قيمة تذكر، لذا لم تنفذ أي مشروعات اقتصادية ذات جدوى[١].

وبشكل عام كانت مختلف مناطق اليمن متخلفة اقتصاديًا واجتماعيًا، ولم تكن اليمن كلاً اقتصاديًا واحدًا بسوق اقتصادية مشتركة مكتملة.

أما حضرموت فقد عمدت السلطات الاستعمارية على عزلها وعرقلت تطورها وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بضرب الاقتصاد الطبيعي الذي كان يلبي الحاجات الضرورية للسكان، فعمدت تلك السلطات إلى تدمير الصناعات الحرفية المحلية بسبب عدم قدرتها على منافسة البضائع الأجنبية وأيضًا من خلال تحويل حضرموت سوقًا لتصريف السلع والبضائع الأجنبية[٢].

كانت الحياة المعيشية في حضرموت أقرب إلى الضيق والشدة منها إلى السعة والميسرة[٣]، وكان الاقتصاد التقليدي القائم على الاستهلاك الشخصي للمنتجات الأولية البسيطة هو السائد، ويرتكز على الزراعة، وصيد الأسماك، وتربية المواشي، وإلى حدٍ ما على الأعمال الحرفية[٤]. وكان الاستقرار النسبي الذي شهدته حضرموت في فترة الدراسة خصوصًا بين السلطنتين القعيطية والكثيرية، وتدفق ثروات بعض المهاجرين إلى حضرموت قد دفع بالاتجاه نحو إدخال بعض جوانب التحديث في المجتمع[٥]، ولكن بالرغم من ذلك ظلت الأنشطة الاقتصادية التقليدية تشكل المحور الرئيس للاقتصاد الحضرمي وأهم هذه الأنشطة:

---

(١) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٦٢.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٧.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ٢٢٦.
(٤) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٥٦٤.
(٥) صالح علي باصرة. لمحات موجزة من تاريخ نشوء ونضال حركة التلاميذ والطلاب في حضرموت، من وثائق الندوة التاريخية كلية التربية بالمكلا. ص ١٦٧.

١- الزراعة:

وهي عماد الاقتصاد اليمني وأهم مصادر ثروته[١]، وقد ساعدت الأراضي الخصبة الكثيرة والأمطار في المناطق الجبلية في الجنوب الغربي على الاستثمار الزراعي، وفي المناطق الداخلية الجافة تم حفر الآبار والاستفادة من مياه السيول في ري الأراضي الزراعية[٢].

كما أدرك اليمنيون أهمية اختلاف الجو من منطقة إلى أخرى وأثره على الزراعة الأمر الذي ساعد على زراعة المزروعات التي تتلاءم مع طبيعة الجو في كل منطقة[٣].

أما أهم المنتجات الزراعية في اليمن فهي: الحنطة والذرة بأنواعها المختلفة، والشعير والسلت والباقلا والعدس والدخن والسمسم والبن والقطن والتبغ، أما الفواكه فكثيرة منها العنب وأنواعه كثيرة، والتين والرمان والمشمش والخوخ والبطيخ الأحمر والأصفر والسفرجل والليمون والبرتقال والموز والكمثرى والأجاص والتفاح[٤]. وفي حضرموت كان معظم السكان يعيشون على الزراعة وهي أساس عملية الإنتاج، وكانت في مستوى متدن من حيث الأدوات المستخدمة أو حجم الإنتاج، لذلك فإن ما ينتج من المحاصيل لم يكن يؤمن حاجة السكان من المواد الغذائية[٥].

وقد ارتكز العمل بالزراعة على مقومات كثيرة منها:

---

(١) أحمد حسين شرف الدين. اليمن عبر التاريخ. الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٤م. ص ٢٢.
(٢) د. عدنان ترسيسي. اليمن وحضارة العرب. ص ٣٧.
(٣) محمد علي الأكوع الحوالي. المرجع السابق. ص ٧٤.
(٤) عبدالله عبدالكريم الجرافي. المقتطف من تاريخ اليمن. الطبعة الثانية. مؤسسة دارالكتاب الحديث، بيروت١٩٨٤،م. ص ٢٨.
(٥) أحمد عوض باوزير. حضرموت ما بين الحربين العالميتين. من وثائق الندوة التاريخية كلية التربية بالمكلا. ص ١٩.

أ - التربة:

تربة اليمن خصبة وقابلة لكل الغروس من الأشجار[١]، وتعد التربة في حضرموت الداخل من أجود الأراضي الصالحة للزراعة خصوصًا الواقعة بين الفرط غربًا إلى عينات شرقًا، حيث يوجد الماء على مقربة من سطح الأرض، والطمي الذي تأتي به سيول الأودية العليا[٢].

أما منطقة حضرموت الساحل فهي قاحلة ووعرة إلى حدٍ ما وتنتشر التربة الصالحة للزراعة فيها في البقرين والحرشيات والعيص وثله وفوه وميفعة وغيل باوزير وتبالة ودفيقة، وتموّن هذه القرى المدن الساحلية مثل المكلا والشحر بما يلزمها من خضروات ومحاصيل زراعية[٣].

ب - المياه:

تعددت أنواع المياه المستخدمة في الزراعة، فمنها مياه الأمطار والسيول والعيون والآبار الجوفية، وهذه المصادر تختلف من منطقة إلى أخرى تبعًا وظروف المناخ، وقرب وعمق الماء بالنسبة للآبار، وكمية المخزون من الماء بالنسبة للعيون، بالإضافة إلى موقع الأرض الزراعية من هذه المصادر، ولذلك يلاحظ أحيانًا أن الأرض الزراعية يتم إرواؤها بأكثر من مصدر واحد.

- الري بمياه الأمطار والسيول:

اعتمدت الزراعة في حضرموت اعتمادًا رئيسًا على مياه الأمطار والسيول وبالذات في الأودية، حيث يعقب هطول الأمطار تدفق السيول من المرتفعات إلى الأودية ومنها عبر القنوات المعدة لتصريف المياه إلى المزارع بأسرع ما يمكن والاستفادة منها إلى أقصى مدى ولذلك تعد الحواجز والسدود بهدف

(١) محمد علي الأكوع الحوالي. المرجع السابق. ص ٧٣.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني. ص ١٣٠.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ١٢.

حجز الماء حتى يصل إلى الأراضي المرتفعة والمحيطة بمجرى الوادي[١]. ومن أشهر السدود سد الحامورة، وسد بن سلمة، وسد الموشحي، وسد عبادي[٢].

- *الري بماء العيون:*

تعد العيون موردًا مائيًا مهمًا في حضرموت حيث يستفاد منها في تأمين مياه الشرب لمناطق استيطانية كبيرة إلى جانب استخدامها في إرواء بعض أنواع المحاصيل، وتعرف العيون في بعض مناطق حضرموت بالمعايين وأحيانًا بالغيول، وتنتشر العيون في حضرموت ساحلها وداخلها، ففي الداخل تنتشر في وديان عدم، وعمد، ودوعن، وتاربة، أما في الساحل فتنتشر في غيل باوزير، وتبالة، والديس الشرقية، والحامي، ووادي حجر[٣].

- *الري بمياه الآبار:*

تشكل الآبار مصدرًا من مصادر الري بحضرموت وتعرف الطريقة التي يتم بها نزح الماء بوساطة الإنسان أو الحيوان بـ(السناوة)[٤]، وهي استخراج الماء من البئر بوساطة الدلاء التي تربط بالحبال إلى الأعمدة المثبتة فوق البئر وحين يصل الدلو إلى قاع البئر ويمتلئ بالماء يُسحب بوساطة الساني، وعندما يصل إلى نهاية ممر السحب يظهر الدلو المليء بالماء عند حافة البئر ويقوم الساني بسحب الدلو إلى الحافة بحبل رفيع فينسكب الماء في حوض صغير من الطين تخرج منه جداول تحمل الماء إلى الأرض الزراعية وتتكون السناوة من عدد من الأدوات وهي:

١- التشريعة: وهي عبارة عن أربعة أعمدة من الخشب تقام على حافة (صُبر) البئر من كل الجهات.

---

(١) علي عقيل. الري في وادي حضرموت. مجلة التراث، العدد الأول. ص ١٩٣.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الأول. ص ١٧.
(٣) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٦-١٧.
(٤) عبدالقادر محمد الصبان. الفلاحون وعاداتهم المهنية. مطبوع بالإستنسل، سيئون، ١٩٨٣م. ص ٣٠.

٢- الرأس والوسادة: هما عمودان من الخشب في أعلى التشريعة.

٣- التبوع: عمودان من الخشب وموقعهما بين الرأس والوسادة.

٤- المذانب: أحبال يربط بها الرأس ويمسكن المصيل.

٥- العجلة: خشبة مدورة مثقوبة في الوسط.

٦- المصيل: عمود خشب يدخل في ثقب العجلة لتدور عليه.

٧- السحرة: حبل يربط الدلو.

٨- المشرع: عودا خشب يربط بهما الدلو.

٩- الدلو: غرب من الجلد يغرف به الماء من البئر.

١٠- اللقبة: خشبة مستطيلة من الخشب يسحب بها الدلو لتفريغ الماء.

١١- الموشق: حبل يربط مع اللقبة لسحب الدلو.

١٢- المطايع: حبال يربطها الساني سواء كان إنسانًا أو حيوانًا.

١٣- الثأرة: الموقع المتخصص لتفريغ الماء من الدلو.

١٤- المقود: المكان الذي يتخذه الساني ذهابًا وإيابًا لسحب الدلو ويكون طول المقود مساويًا لعمق البئر.

١٥- الفجة: وهي مؤخرة المقود.

وقد سادت هذه الطريقة من الإرواء في المناطق الداخلية والساحلية من حضرموت ونتيجة لانتشار هذا الأسلوب في وادي حضرموت أطلق عليه أحيانًا اسم مجازي وهو (وادي العجل) كناية عن كثرة استخدام العجل في عملية السناوة[١].

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ١٦٧.

إن المردود الإنتاجي لنظام الري بالسيول ضئيل ومشروط بهطول الأمطار ولا يتساوى مع الجهد المبذول أما المردود الإنتاجي للمياه الجوفية والمعايين فهو وفير نسبيًا ويتساوى مع الجهد المبذول[١].

كما عرفت حضرموت الري بوساطة المكائن النازحة للماء بعد الحرب العالمية الأولى[٢]، وقد مرت عملية استخدام المكائن لرفع الماء بمحاولات متعددة يمكن أن نشير إلى بعضها:

جلب الشيخ زين باسلامة إلى بلدة سيئون آلة ترفع الماء من البئر بوساطة التحريك باليد وذلك سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م وعندما فشلت الآلة وتعطلت ردد العامة قول الشاعر الشعبي:-

بن زين ما عربت البمبة عيونه بكين
ذا شور هادي وعبدالله وفرج هو وزين

وفي سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م قام السيد عيدروس بن حسين العيدروس بمشروع جلب أنابيب، ودعا الناس إلى تكوين شركة لإرواء الأراضي بوساطة الآبار الارتوازية، وفعلاً تكونت الشركة وتم الحفر ولكن فشلت الماكينات في رفع الماء.

وفي تريم حاول السيد عمر المشهور أن يخترع آلة ترفع الماء من البئر بوساطة ضغطها بطبق ينطبق عليها فيرفع الماء في الأنبوب المتصل بذلك، ولكن نظريته بائت بالفشل.

ومن النجاحات المحدودة ما قام به كل من السيد عبدالله عبدالرحمن بن شهاب، والشيخ أبوبكر الزبيدي من جلب ساقية ترفع الماء في دنات يديرها جمل يدور على البئر، وقد استمرت هذه الساقية لمدة سنين ثم ثبطهم عن

(١) سالم عمر الخضر. المرجع السابق. ص ٩٩.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول. ص ١٦.

الاستمرار موت الجمال التي تديرها واحدًا بعد الآخر. وفي سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م تكونت شركة هدية الوطن للزراعة، وجلبت ماكينة إنجليزية، ولكن جهل العامل الذي على الماكينة أدى إلى فشل هذه الشركة، إلى جانب النزاعات التي دبت في صفوف المساهمين(١).

وأول شركة نجحت في هذا السبيل هي شركة الخير بتريم، التي أسسها السادة آل الكاف والسيد هود السقاف، وقد استفادت الشركة من التجارب السابقة، واستقدمت مهندسًا يابانيًا من (سنغافورا) جلس في حضرموت ثلاث سنوات قام خلالها بتركيب وتشغيل هذه الآلات ورفع الماء وتدريب بعض القائمين عليها(٢)، ثم بدأت فكرة جلب الماكينات الرافعة للماء تختمر عند بعض أغنياء حضرموت، وعمومًا كان استخدام المكائن نادرًا في حضرموت ولم ينتشر استخدامها إلا منذ خمسينيات هذا القرن.

طريقة الزراعة:

تتم الزراعة عن طريق تخطيط الأراضي بأشكال هندسية وسواق وسدود صغيرة بنظام معماري معروف يتوارثه الأبناء عن الأجداد(٣)، ويقيم الفلاح الأسوام للجروب ويصلح المكاسر ويهيئ الجرب مجسومًا معدًا للماء، وبعد ارتواء الجرب من الماء ومصه واختزانه يقوم الفلاح بجسم الجرب مرةً أخرى، ويبذر البذور ويقال للزرع الموسم وعند الحصاد يتعاون الرجال والنساء في جني المحصول(٤).

وقد قسم فلاحو حضرموت السنة إلى ثمانية وعشرين نجمًا وعلى هذه

---

(١) مجلة التهذيب، العدد السابع، السنة الأولى، ١ صفر ١٣٥٠هـ، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٥٠هـ. ص ١٢٣-١٢٧.

(٢) جعفر محمد السقاف. مجلة التراث، العدد الخامس. ص ٢١.

(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول. ص ١٦.

(٤) عبدالقادر محمد الصبان. الفلاحون وعاداتهم المهنية. ص ٢٨.

النجوم يبني الفلاح تحركه العملي المهني في جسمه للأرض وفي بذره والنجوم هي:

الهنعة	في ١ يناير	الذراع	في ١٤ يناير	النثرة	في ٢٧ يناير
الطرف	في ٩ فبراير	الجبهة	في ٢٢ فبراير	الزبرة	في ٧ مارس
الصرفة	في ٢٠ مارس	العواء	في ٢ إبريل	السماك	في ١٥ إبريل
الفغر	في ٢٨ إبريل	الزبان	في ١١ مايو	الإكليل	في ٢٤ مايو
القلب	في ٦ يونيو	الشول	في ١٩ يونيو	النعائم	في ٢ يوليو
البلدة	في ١٥ يوليو	المرزم	في ٢٨ يوليو	سهيل	في ١٠ أغسطس
باعريق	في ٢٣ أغسطس	خبا	في ٥ سبتمبر	الفرغ	في ١٨ سبتمبر
الدلو	في ١ أكتوبر	الحوت	في ١٤ أكتوبر	النطح	في ٢٧ أكتوبر
البطين	في ٩ نوفمبر	الثريا	في ٢٢ نوفمبر	البركان	في ٥ ديسمبر
الهقعة	في ١٨ ديسمبر				

الأدوات الزراعية:

المحراث: أداة خشبية وأحيانًا ملبسة بمادة معدنية تغرز على سطح الأرض، وتكون مربوطة بوساطة حبال بجسم حيوان غالبًا ما يكون ثورًا أو جملاً ويضع الفلاح قدميه فوق المحراث، وتساعد العملية مع مشي الحيوان على حرث الأرض الزراعية.

القدوم: ويصنع من يد خشبية بالإضافة إلى قطعة حديدية ذات فصل مقوس مدبب الرأس، ويستخدم في التربيك (تسوية الأرض).

المعزقة: وهي أداة تستخدم لشق الأرض، وتتكون من يد خشبية مركب عليها قطعة حديد مربعة أو مستطيلة الشكل وهي كالقدوم وأكبر منه.

المنجل: ويستخدم غالبًا عند الحصاد ومن استخداماته قطع غصون الأشجار والحشائش الطرية.

ملكية الأراضي الزراعية:

تقاسمت المراتبيات العليا في المجتمع الحضرمي ملكية الأراضي فامتلكت الأسر الحاكمة والسادة والمشايخ والقبائل معظم المساحات الزراعية إلى جانب امتلاك بعض المزارعين لمساحات محدودة من الأراضي الزراعية يقومون باستغلالها بأنفسهم[١]. وفي مناطق النفوذ القبلي توجد أراض مشاعة بين العشائر ويتم تناوب زراعتها في موسم السيول وفق نظام عرفي بين بيوت العشيرة دون أن تثبت ملكيتها لأي من هذه البيوت[٢].

إن ارتباط الفلاح بالأرض غالبًا غير وثيق لكونه يعمل كأجير، فقد كان ملاك الأراضي الزراعية يأخذون بنظام المحاصصة الذي يتم على أساس تقديم الأرض من قبل المالك والذي يعرف باسم (الطبين) إلى المزارع ويتم الاتفاق على تقسيم الإنتاج بين المالك والمزارع بنسبة معينة تخضع للزيادة والنقصان وفقًا للطريقة التي يتم بها سقي الأرض وإن كانت تسقى طبيعيًا ترتفع في هذه الحالة حصة المالك، وإن كانت تسقى اصطناعيًا تنخفض حصة المالك.

وينقسم الفلاحون الذين يعملون في أرض المالك على أساس نظام المحاصصة على أربعة أقسام وهم: صالي، وعمار، ونشير، ومفاخذ. أما الصالي فهو الفلاح الذي يقوم بالعمل في أرض المالك (الطبين) مع أفراد أسرته مقابل إطعامهم ولباسهم، أما الإنتاج فهو لصالح الطبين وهذا النوع قليل جدًا في حضرموت.

والعمار هو الفلاح الذي يقوم بالحرث والزرع وسقي النخيل وعليه كل شيء

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٥.
(٢) سالم عمر الخضر. المرجع السابق. ص ١٠٠.

من مستلزمات الزراعة ويدفع للطبين العشر من كل ما ينتجه من الخضروات، أما بالنسبة للتمر (البلح) فللطبين ثلاثة أرباع والربع الباقي للعمار[١].

والنشير هو الفلاح الذي يقوم بالعمل في الجروب وكل لوازم الحرث ومستلزماته من جسم وبذر وإصلاح للجرب، وللطبين مقابل أرضه النصف فيما يسقى بماء السيل، والعشر فيما يسقى باستخدام الحيوان[٢]. أما المفاخذ فيكون في الأرض الصالحة لزراعة النخيل، وأغلب الاتفاقات تقوم على أساس مناصفة المحصول[٣]، ونستنتج من نظام المحاصصة في حضرموت أن الماء هو حجر الزاوية في اشتداد وارتخاء شروط العمل.

المحاصيل الزراعية:

شجرة النخيل:

تحتل شجرة النخيل وبلحها الصدارة بين أنواع المزروعات في حضرموت[٤] خاصة أن شجرة النخيل لديها من الصفات الطبيعية ما يجعلها تتناسب وطبيعة الظروف المناخية في حضرموت كالمقدرة على تحمل العطش لمدة طويلة،وقد عني الحضارم بزراعة النخيل وكونوا بساتين واسعة منها، ويوجد عدة أنواع من ثمار النخيل كالمديني،والحمراء، والجزاز، والسقطري، والمجراف، ويزرع النخيل على السواقي الرئيسة، وفي الأحواض وفي حفر خاصة، وتنتشر زراعته في وادي حضرموت والواحات الساحلية.

وتنفع شجرة النخيل لاستعمالات متنوعة فمن الجذع تصنع العوارض والحواجز وأخشاب السقوف والأبواب ومصاريع النوافذ والسلالم والصناديق والأسرّة والقوارب وأيضًا تستعمل كوقود، ومن الوريقات تصنع الحصر

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٥.
(٢) عبدالقادر محمد الصبان. الفلاحون وعاداتهم المهنية. ص ٥٠-٥١.
(٣) محمد عبدالكريم عاكشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٦.
(٤) المرجع نفسه، ص١٢.

والزنابيل، ويستخدم ليف أصل السعوف في صنع الحبال أو في حشو الوسائد، وتستخدم السعوف في بناء البيوت المتواضعة.[١]

الذرة الرفيعة:

يعد من محاصيل الحبوب المهمة، ومثل الغذاء الرئيس للسكان ويستفاد من سيقان نباتها كعلف للحيوان، ويناسب هذا المحصول الري والري بالآبار، كما يمتاز هذا المحصول بتحمل الارتفاع في درجة الحرارة، ويزرع في أنواع الترب كافة،ويمكن زراعته في الصيف والشتاء.

القمح:

من أهم المحاصيل الزراعية الشتوية، ويعتمد عليه السكان في إعداد الخبز بأشكاله المختلفة، ويفرز عند تنقيته التبن الذي يستخدم في صناعة المدر[٢].

وقد عرفت للقمح أنواع محلية مثل: باقريفة، وهلباز، والسوط، وشعيل وبافطيم. وانتشرت زراعة هذا المحصول في وادي حضرموت وفروعه[٣].

شجرة النبق (الدوم):

وتسمى السدر ولهذه الشجرة أهمية كبرى في حضرموت، وتعتمد على مياه السيول وتقاوم الجفاف وأحيانًا يكون النبق غذاء رئيسًا للكثيرين في أوقات الجفاف، وكذلك تكون الأوراق غذاء للحيوانات، ويستخدم جذع شجرة النبق في صناعة القوائم والعوارض وسقوف البيوت[٤].

السمسم (الجلجل):

يعد من المحاصيل المنتجة للزيت، وترجع أهميته على احتواء بذوره على نسبة

(١) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق، ص٢٧٤.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، ص١٣٠.
(٣) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، ص٢١.
(٤) D. van dermeulen andH van wissman, op, cit, p, 48.

عالية من الزيت الصالح للغذاء، بالإضافة إلى أن زيت السمسم سهل التصنيع والتنقية، ومن الأصناف التي تزرع في حضرموت الصنف الأبيض والأحمر، وتستعمل نفايات السمسم (التخ) بعد إخراج الزيت في التغذية الحيوانية والبشرية[١].

التمباك (التبغ):

من الغلات الاقتصادية الأساسية في حضرموت، وتتركز زراعته في غيل باوزير، ومعظم الأراضي الزراعية للتمباك تملكها الحكومة القعيطية[٢]. وتحتاج زراعة التمباك إلى خبرة خاصة فيوضع السماد للتمباك على ثلاث مراحل الأولى بفضلات الطيور، والثانية بالسمك (الوزيف)، والثالثة بروث البهائم وفضلات الإنسان، ويروى بماء صاف وبقدر معلوم[٣]، ومن المحاصيل الأخرى الخضروات بأنواعها والبقوليات وغيرها.

إن النشاط الزراعي في حضرموت ظل على حالته من التأخر والتخلف سواء كان ذلك في استخدام الوسائل البدائية، أو في العمل الفردي أو العائلي البسيط، وقد جرت محاولات لإنشاء شركات زراعية تسهم في زراعة مساحات واسعة من الأراضي، ومن تلك المحاولات المحاولة التي قام بها أغنياء مدن حضرموت الداخل (سيئون وتريم وشبام والقطن)[٤]، ولكن لم تثمر المحاولات عن أي تطور يذكر، ولاشك أن حالة الفوضى القبلية والتجزئة السياسية لعبت دورًا كبيرًا في تخلف المجتمع بشكل عام.

٢ - صيد الأسماك:

تطل اليمن على سواحل طويلة على البحر العربي والبحر الأحمر، وشكل هذا الموقع البحري أهمية كبيرة إذ إن اليمن تقع على إحدى أهم مناطق الثروة

---

(١) محمد عمر الحبشي، المرجع السابق، ص١٢٧.
(٢) Ingrams, report, op, cit, p 50.
(٣) D. van dermeulen and von wissman, op, cit, p 48.
(٤) فتاة الجزيرة. العدد (١٣٦)، السنة الثالثة، ٣٠ أغسطس ١٩٤٢م ص٩.

السمكية في العالم، سواء من حيث غزارة المخزون أو من حيث الأنواع التجارية الموجودة[١]، وهذه المميزات جعلت جزءًا كبيرًا من السكان - عبر المسافات التاريخية - يركبون البحر، ويعملون بحرفة صيد الأسماك التي تعد أهم موارد العيش لسكان السواحل اليمنية، ويذكر جواد علي أن اليمنيين كانوا يبيعون لحم الأسماك جافًا ويصدرونه إلى الأماكن البعيدة، ويحملون الطري منه إلى الأماكن التي لاتبعد كثيرًا عن الساحل، وكانوا يدقون أنواعًا من الأسماك ويخزنونها لتكون طعامًا عند الحاجة لهم ولحيواناتهم[٢].

وبسبب امتلاك حضرموت لشواطئ طويلة فقد عمل جزء من السكان في أعمال الصيد وبناء المراكب الصغيرة (السنابيك)[٣] وقد انتشرت المدن والقرى الساحلية على طول الساحل الحضرمي، وأشهرها من الغرب إلى الشرق: بروم،والمكلا، وروكب، والشحر، والحامي، والديس الشرقية، وقصيعر، والريدة[٤].

وسائل الاصطياد:

وتنقسم على ثلاثة أنواع ؛ الاصطياد بالصنارات، والاصطياد بالشباك، والاصطياد بالفخاخ.

١- الاصطياد بالصنارات:

لقد عرفت الصنارة كوسيلة لصيد الأسماك منذ القدم حيث صنعها الإنسان البدائي من العظام وتطورت تدريجيًا حتى أخذت شكلها الحالي[٥]، والصنارات

(١) علي عبدالأمير. الثروة السمكية في اليمن الديمقراطية، دار الهمداني عدن ١٩٨٣م. ص٥٧.
(٢) جواد علي. المرجع السابق، المجلد الأول. ص٢٠٦.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية، ص٢٥.
(٤) سقاف علي الكاف. المرجع السابق، ص١٧.
(٥) علي عبد الأمير. المرجع السابق، ص٤٤.

تصنع من معادن مختلفة ومن السبائك لزيادة مقاومتها، وتؤخذ الصنارة شكلاً معكوف الطرف على هيئة حرف (ل)، (الشكلة) ويوضع الطُّعْم في الصنارة المربوطة بحبل قوي من النايلون (الوتر) وعندما تبتلع السمكة الطعم تتم عملية الصيد وذلك لصعوبة تخلص السمكة من الصنارة المعكوفة، وأحيانًا تربط عدد من الصنارات بحبل واحد خاصة في حالة الصيد بدون طُعْم،وتعتمد طريقة الصيد على السحب السريع للصنارات، وتحدث هذه العملية غالبًا على مسافة قريبة، بحيث يرى الصياد الأسماك أمامه.

٢- الاصطياد بالشباك:

تحقق طرق الاصطياد بالشباك إنتاجًا عاليًا، وهي أفضل الطرق السائدة والشائعة للاصطياد التجاري، وتصنع خيوط الشباك من مواد طبيعية كالقطن والكتان أو مواد صناعية كالنايلون، وتتم صناعتها بأشكال مختلفة، وأطوال وارتفاعات متباينة. حسب الحاجة، وغالبًا ما يكون حجم الشباك الواحد (عيون الشباك) متماثلة.

٤- الفخاخ:

يتكون الفخ من غرفة مربعة أو دائرية الشكل تصنع من قضبان الحديد وأحيانًا من الخيزران، يتخلل الفخ في إحدى جوانبه فتحة تتجه بشكل علوي نحو المحيط الداخلي للفخ وغالبًا ماتحاط الفتحة بحافات حادة تتجه نحو الفخ امتدادًا لطول فتحة الدخول مهمتها منع المصطاد من الخروج، وتعمل على تخديشه بشكل مواجه إذا حاول الهرب، ويرتبط الفخ بحبل يتصل بعوامة فوق سطح الماء وتحدد مدة بقائه في الماء تبعًا لإنتاجية المنطقة، وغالبًا ماتكون المدة (٢٤) ساعة[١]، وقد ارتبطت بمهنة صيد الأسماك حرفة بناء القوارب الصغيرة (السنابيك) وهي تصنع بطريقتين: التخييط والتسمير.

(١) علي عبد الأمير. المرجع السابق، ص٥٥.

طريقة التخييط:

تصنع هذه القوارب الصغيرة بالطريقة الآتية: توضع قاعدة المركب الخشبية على الأرض، ثم تثبت فيها ألواح أفقية على الجانبين وإلى بعضها، ثم يتم ثقب حافة اللوح عدة ثقوب بين كل منها مسافة تقدر بـ ٥-١٠سم، ثم تربط الألواح عن طريق الثقوب المتقابلة مع بعضها بوساطة الحبال، بعد ذلك يستخدم زيت السمك لغلق الثقوب ومنع تسرب الماء.(١)

طريقة التسمير:

بهذه الطريقة يتم تثبيت الألواح الخشبية بوساطة المسامير على هيكل داخلي من الألواح العريضة، بعد ذلك يتم طلاء القارب من الداخل بالشحم الجامد، والزيت الجامد ومن الخارج بالنورة والزيت الجامد أيضًا.(٢)

الصيادون:

رغم الجهد الكبير الذي يبذله الصياد في عملية صيد الأسماك والمخاطر التي تواجهه نجده يتعرض لابتزاز ومعاناة من ثلاث جهات:

١- صاحب الشباك أوالسنبوك الذي يأخذ حصته من المحصول.

٢- الإتاوات التي تفرض على الصيادين من قبل بعض القبائل بحكم الحق القبلي لأماكن الاصطياد، ولهذه الإتاوات أو الضرائب مسميات محلية مثل:

الكيلة: وهي ضريبة عينية تؤخذ من إنتاج الصياد ومقدارها يختلف من منطقة إلى أخرى.

الجرف: عندما يقوم بعض الصيادين بنصب شباكهم في أماكن معينة وفي مواسم الصيد ثم يسحبون الشباك وتسمى هذه العملية جرفًا والإتاوة جزء مما جرف.

---

(١) خالد سالم باوزير. موانئ ساحل حضرموت، مطابع دار الشمال، ١٩٩٦م. ص١٤١.
(٢) علي عبد الأمير. المرجع السابق، ص٢٩.

المجاديح: وهي الأماكن التي يتم فيها تجفيف أنواع من الأسماك بوساطة الشمس وبموجب الحق القبلي لهذه المنطقة فعلى الصياد دفع إتاوة معينة[١].

٣- وفي السوق يصطدم الصياد بأطماع الدلالين والتجار (المعيرين) الذين يتلاعبون بالأسعار، وبما أن الأمر يتعلق بمنتجات سريعة التلف[٢]، فإن صيادي الأسماك يفضلون أن يتفاهموا معهم من أن يتركوا أنفسهم يخسرون[٣].

الثروة السمكية:

وهي كما ذكرنا هائلة ومتنوعة فهي تزيد على (٨٠) صنفًا، ومن أهم الأسماك وأشهرها حسب التسمية المحلية الثمد (التونة) والزينوب، والشروي، والعيد، والطرناك (الديرك)، والطمكري، والغودة، والفرس، والعنق، والقناط، والأسماك القشرية (الصرع) وأنواعها كثيرة.[٤]

ولصعوبة المواصلات بين ساحل حضرموت وداخلها وعدم استخدام وسائل التبريد الحديث في حفظ الأسماك، كل ذلك أدى إلى ضعف التبادل التجاري مع مناطق داخل حضرموت، وانتقلت فقط أنواع معينة من الأسماك إلى داخل حضرموت بعد تجفيفها وتمليحها وأهمها سمك القرش (اللخم) والعيد المجفف (السردين) الذي يستخدم غذاء للحيوانات (الجمال) وسمادًا للأرض.

٣- التجارة:

يقع اليمن في نقطة استراتيجية مهمة فهو يهيمن على المدخل الجنوبي للبحر

---

(١) سالم عمر الخضر، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢) تم إنشاء مصنع بن كوير لحفظ الأسماك عام ١٩٥٤م ينظر: جريدة الأخبار العدد (١٥)، ١٥ فبراير ١٩٥٤م ص٦. كما فتح بالمكلا مبرد لحفظ الأسماك سنة ١٩٦٢م عندما استدانت الحكومة القعيطية لإنشائه (١٢,٠٠٠) جنيه إسترليني من المملكة المتحدة. ينظر: محمد عمر الحبشي. المرجع السابق ٢٩١.

(٣) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٤) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الأول، ص٢٠.

الأحمر (باب المندب وخليج عدن) ويطل على المحيط الهندي لهذا احتل اليمن موقعًا جغرافيًا ممتازًا على طريق الملاحة العالمية منذ أقدم العصور[١].

وقد لعبت الرياح الموسمية (الجنوبية الغربية في المدة من نوفمبر إلى مارس والشمالية الشرقية في المدة من إبريل إلى أكتوبر) دورًا في جعل كثير من سكان سواحل اليمن يحترفون الملاحة ويعملون بالتجارة مستعينين بهذه الرياح[٢]، ومعروف أن حضارة اليمن قامت على التجارة بحكم توسطها بين الشرق والغرب[٣]، وقد عرف الإنسان اليمني أصول التجارة العالمية ومواردها، وعرف كيف يحتكرها، ويحافظ على أسرارها، ويختار الأنواع الصالحة منها للتجارة ونقلها عبر الصحاري والبراري، ومن أشهر هذه السلع اللبان، والبخور، والمر، والأحجار الكريمة، والتوابل بأنواعها، والمعادن الثمينة، واللؤلؤ، والجلود النادرة، والرياش الفاخرة[٤].

وهكذا كان للخصائص الجغرافية والطبيعية والبشرية التي لليمن دورها في تفرده بشخصية مميزة ذات طابع خاص، فقد مهد له موقعه وثروته النباتية ونشاط سكانه ليلعب دورًا ممتازًا في تاريخ الحضارات التي مر بها الإنسان العربي منذ عرف الحياة في الجزيرة العربية[٥].

الأسواق التجارية:

للقبائل اليمنية عادات قديمة في إقامة أسواق أسبوعية في مواقع متعددة من البلاد يجتمع فيها رؤساء العشائر والقبائل المجاورة لقضاء الدعاوى وحل

---

(١) أحمد محمد بن بريك. المرجع السابق، ص٤.
(٢) شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم ١٥١، ١٩٩٠م. ص٨.
(٣) عبدالله أحمد الثور. المرجع السابق، ص٦٤.
(٤) عدنان ترسيسي. المرجع السابق، ص٣٦.
(٥) أحمد محمد بن بريك. المرجع السابق، ص٤.

المنازعات ويوجد لهذه الأسواق مخازن للبيع والشراء[١] ومن أشهر الأسواق اليمنية: سوق صنعاء، وسوق عدن، وسوق الشحر، وسوق الرابية بوادي العين، وسوق النبي هود شرق تريم[٢].

وفي حضرموت تقام الكثير من الأسواق الموسمية التي في الأصل عبارة عن زيارات لبعض الأولياء الصالحين، فهذه الزيارات إلى جانب هدفها الأساس في تجديد ذكرى الولي للحفاظ على المراتبية الخاصة للسادة والمشايخ وتعزيزها، فهي لها دورها في تحقيق التبادل التجاري وعمليات الاتصال الحضاري في هذا المجتمع الحضرمي المحكوم بالنزاعات القبلية.

ومن أشهر الزيارات: زيارة سالم بن عمر في الشحر، وزيارة النبي هود، وزيارة القطن، وزيارة المشهد، وزيارة قيدون. كما عرفت حضرموت الأسواق المتخصصة التي يتم تعريفها عادة بإضافة نوع السلع التي تباع في السوق، منها: سوق الخضرة، وسوق (اللخم)، وسوق الأغنام، وسوق السمك، وسوق الملابس، وسوق النساء (مستلزمات النساء)، وكانت هذه الأسواق منتشرة في المدن الرئيسة مثل: المكلا، والشحر، وتريم، وسيئون، وشبام[٣].

وينتشر الدلل في معظم الأسواق بوصفهم حلقة الوصل بين البائع والمشتري، وغالبًا ما نجد للقبائل ممثليها من الدلل في المدن الكبيرة يتولون مساعدة أفراد القبائل في بيع إنتاجهم وشراء حاجتهم[٤]، ولفظة الدلل مفردها دلال وهي كلمة فصيحة تعني الشخص الذي ينادي على السلع للبيع[٥]، ولها عند الحضارم معان إضافية وهي التوسط بين الغرماء في البيع والشراء،

(١) عبدالله أحمد الثور. المرجع السابق وص٧٩.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. الشهداء السبعة. ص١٨.
(٣) المرجع نفسه. ص٣٨.
(٤) Ingrama. Op. cit. p46.
(٥) ابن منظور. لسان العرب. الجزء الثاني، ص١٤١٤.

والصلح، والحرب بين القبائل[١].

وبالنسبة لأسعار السلع فإنها غالبًا ماتكون محكومة بقانون العرض والطلب، وعمومًا لم تحدث ارتفاعات كبيرة في أسعار السلع إلا عند بداية الحرب العالمية الثانية، وانطلاقًا من ذلك يمكن أن نورد أسعار بعض السلع كما ذكرها معاصر[٢] في ثلاثينيات القرن الماضي وهي:

رطل سكر	آنة[٣]
رطل حلوى	آنة
رطل تمر عماني	نصف آنة
قرص طعام ذرة	آنة[٤]
قرص رز كراشي	آنة
رطل لحم	بين ٣-٤ آنة
رطل بُن	لايزيد عن آنة
(معرص) ماء حلو	نصف آنة[٥]
رطل (قاز) كيروسين	آنة أو نصف آنة

ولاشك أن الذي يحدد ارتفاع هذه السلع وانخفاضها هو متوسط الدخل لغالبية السكان، فإذا كان مثلاً. دخل المدرس شهريًا (١٥) ريالاً (يعادل ٢٠

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق، ص٢١١.
(٢) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق، ص٤٢٣.
(٣) الروبية تساوي ثماني آنات. ينظر العملة في هذا الفصل.
(٤) القرص: مكيال محلي يساوي رطلاً تقريبًا.
(٥) المعرص: عبارة عن صحيفتين من الحديد يتم ربطها بوساطة خشبة مستديرة توضع على الكتف٣.

روبية) وأجرة (معلم) البناء خمس آنات في اليوم[١] فإننا يمكن أن نستنتج أن أسعار السلع لا تتناسب مع متوسطي الدخل، ومن ثَمَّ سيكون اللحم بالنسبة للمدرس وعامل البناء سلعة يصعب شراؤها إلا أسبوعيًا في أحسن الأحوال.

الموانئ التجارية:

تعد الموانئ رئة الحياة بالنسبة للدول، وهي النافذة التي تطل على ماوراءها وهي أيضًا مقياس لمدى النشاط التجاري. وفي الشريط الساحلي الحضرمي يوجد عدد من الموانئ التجارية المهمة التي كانت نقطة انطلاق الحضارم نحو البحر صيادين وملاحين وتجارًا، كما كانت مركز الاستقبال الأول للبضائع والمسافرين القادمين إلى حضرموت. والنشاط البحري في هذه المنطقة لم يكن نشاطًا أساسًا للسكان في بداية استيطانهم بل كان لاحقًا لنشاطهم الأساس وهو الزراعة[٢]، ثم شكلت التجارة حلقة مهمة من حلقات النشاط الاقتصادي في حضرموت، وأهم الموانئ التجارية:

ميناء المكلا:

يقع ميناء المكلا على ساحل المحيط الهندي على خط طول ٤٩،١٠ وخط عرض ١٤،٣٢[٣]، وميناء المكلا جزء لايتجزأ من خليج المكلا وهو مكشوف، ولكن يتوسط بين خليج فوه ورأس مرباط ورأس المكلا.

ويتكون خليج المكلا من ذلك الامتداد الأرضي المتوغل في البحر كأنه حاجز طبيعي للأمواج عرضه حوالى (٣٠٠) متر تقريبًا وطوله يزيد على نصف كيلو متر، وتوجد سلسلتان جبليتان تحيطان بهذا الخليج ساعدتا على الحد من

(١) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق وص٤١٥.
(٢) عبدالله سعيد باحاج. موانئ اليمن وخليج عدن، دراسة جغرافية، ص١٥١.
(٣) عبدالرقيب ثابت، وعبدالحكيم يوسف. استخدام الأرض في حضرموت، من موضوعات الندوة الجغرافية، ص٤٣.

العواصف القادمة من المياه الداخلية[١].

وفي الوقت الذي كان فيه ميناءا عدن والشحر يحتكران التجارة في سواحل جنوب اليمن، كان ميناء المكلا يبدو أقل أهمية، وظل كذلك حتى القرن التاسع الميلادي عندما بدأت الحركة التجارية تنشط وتنمو في الميناء فبدأ ميناء الشحر وهيمنته على التجارة في حضرموت في التراجع أمام منافسه ميناء المكلا[٢]، وقد ساعد على ذلك المميزات الطبيعية لميناء المكلا، وكذلك قربها من ميناء بروم الذي يكون صالحًا للملاحة في موسم الرياح الجنوبية الغربية التي تهب من المحيط الهندي على سواحل جنوب الجزيرة العربية[٣].

إضافة إلى ذلك اختيار النقيب الكسادي لها لتكون مقرًا لإمارته التي ضمت المكلا وضواحيها وجزءًا من دوعن، وتحولت من خيصة يلتمس فيها الصيادون الحماية والأمان لسفنهم، وقوارب صيدهم، إلى إمارة وميناء رئيس في حضرموت[٤].

وحتى أوائل القرن الحالي لم يكن العمران في مدينة المكلا يزيد عن منطقة اللسان الأرضي، وأقيم في هذه المنطقة العمرانية سور صغير ذو بوابة واحدة عليه عدد من أبراج الحراسة، ولا يزيد ارتفاع هذا السور عن (٥) أمتار، أما طوله فيصل إلى (١٥٠) مترًا وهو يمتد بعرض الشريط الساحلي الغربي بين سفوح جبل المكلا وشاطئ البحر.

وخلال الربع الأول من القرن الحالي ظهرت بعض المباني خارج المنطقة المسورة، مما أطلق عليها برع السدة (خارج السور)، ثم اتسع العمران في هذه المنطقة الجديدة بعد أن تم تشييد قصر جديد فيها للسلطان على الشاطئ الغربي

(١) خالد سالم باوزير. المرجع السابق، ص١١٣.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية، ص١٤.
(٣) المرجع نفسه. ص ٢٢٥.
(٤) عبدالله سعيد باحاج، موانئ اليمن وخليج عدن، ص١٠٣.

للمدينة ولا يبعد هذا القصر بأكثر من (٢) كيلو متر عن ذلك السور الذي قلت أهميته بعد امتداد العمران خارجه، فدعت الحاجة إلى بناء سور جديد بجوار القصر الغربي وبطول السور الأول، وهوكذلك يمتد بعرض الشريط الساحلي، وقد تم إزالة هذا السور الثاني قبل الحرب العالمية الثانية، وانتقل السور إلى مشارف وادي العيقة (وادي سديد)[١].

وبوصول السلطان القعيطي عمر بن عوض القعيطي سدة الحكم عام ١٩٢١م أدخلت بعض الاصلاحات للدولة القعيطية، خاصةً في مدينة المكلا، فقد أسس جمرك المكلا، وأخضع الميناء لإشرافه، بعد أن كان مؤجرًا لأسرة (جمعة لالا) الهندية بمبلغ (٧٠,٠٠٠) ريال سنويًا[٢].

ولموقع ميناء المكلا المتوسط أصبحت المكلا ملتقى لطرق التجارة البحرية القادمة من سواحل شرق أفريقيا وعدن من جهة وسواحل الخليج والهند وشرق آسيا من جهة أخرى.

ميناء الشحر:

مدينة الشحر من المدن التاريخية الموغلة في القدم احتفظت بأهميتها الاقتصادية والتجارية بوصفها ميناء رئيسًا على خطوط التجارة العالمية وهذا الميناء هو الذي أضفى على المدينة هذه الأهمية[٣].

تقع الشحر على شريط ساحلي رملي واسع يبعد قليلاً عن المرتفعات الجبلية وتبتعد الشحر عن المكلا بـ (٦٥) كيلومترًا وعن عدن بحوالى (٦٨٥) كليومترًا[٤].

---

(١) عبدالله سعيد باحاج، موانئ اليمن وخليج عدن، ص ١٦٧.
(٢) خالد سالم باوزير. المرجع السابق. ص ١٢٦.
(٣) المرجع نفسه. ص ٥٨.
(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ١٣.

لقد قام ميناء الشحر بدور مهم في العصور القديمة، والوسيطة، والحديثة، وربط حضرموت ساحلها وداخلها بالعالم الخارجي، ومواطن السلع الواردة، وأسواق السلع الحضرمية المصدرة، لقربه من مصادر إنتاج السلع التجارية الزراعية أو الحيوانية، كما اشتهرت الشحر بأسواقها القديمة مثل سوق الخان، وسوق اللخم، وسوق الهنود، وسوق شبام، وعلى الرغم من أن كثرة الأسواق في الشحر توحي باشتغال أهلها بالتجارة إلا أننا نلاحظ أن حرفة الصيد، وركوب البحر هي الحرفة الأساسية للسكان[١]. وتتكون الشحر من عدة أحياء رئيسة مهمة هي:

١- القرية: معظم سكانه من بحارة السفن وعمال الشحن والتفريغ.

٢- المجرف: معظم سكانه من صائدي الأسماك وسمي بهذا الاسم لوقوعه على أجراف الطين المطلة على الساحل.

٣- الرملة: معظم سكانه من صائدي الأسماك (سمي كذلك لوقوعه على كثبان الرمل الساحلية).

٤- الجزيرة: معظم سكانه من صائدي الأسماك (سميت الجزيرة لأن مسيال سمعون الذي يخترق مدينة الشحر في موقعين، ويصب بالبحر، يحيط بالجزيرة من الشمال والشرق والغرب، ويحدها البحر من الجنوب).

٥- الخور: معظم ساكنيه من صائدي الأسماك (سمي كذلك لانخفاض أرضه).

٦- الحور (الحوطه): معظم ساكنيه من أغنياء البلد، وتجارها، وعدد من رجال الدين.

٧- عقل باعويس: سكانه من صغار التجار، والحرفيين، والعمال.

(١) سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ص ١٣٨.

٨- عقل باغريب: وهو حي صغار التجار، والحرفيين، والعمال، وجل سكانه من الوافدين من وديان حضرموت الغربية.

٩- الرباط: يسكنه البدو المستوطنون بالشحر.

١٠- حي المحط: وهو مركز تجمع قوافل الجمال من حضرموت الداخل والقادمة إليها، ويسكنه البدو وعمال خدمة القوافل.

١١- حي السوق: وهو حي واسع يقع في الوسط، يحيط به أربعة أحياء هي حي القرية، وعقل باعوين، وعقل باغريب، والجزيرة[١].

ومن أبرز مظاهر النمو العمراني لمدينة الشحر في أواخر القرن التاسع عشر عندما جدد السلطان القعيطي السور حول المدينة ليصير ارتفاعه (٥) أمتار و(٧٠) سنتمترًا، وسمكه متر و(٥) سنتمترات، وفيه بوابتان ضخمتان رئيستان الأولى شمالية يطلق عليها سدة العيدروس، وأخرى غربية تسمى سدة الخور، كما بنى على السور (٣٥) كوتًا (الكوت قلعة صغيرة للحراسة)[٢]. وقد أعطى هذا السور أهمية أمنية كبيرة لمدينة الشحر ودافعًا قويًا للتوسيع العمراني والاستيطان فيها. وقد هبطت قيمة ميناء الشحر حيث ظهرت مدينة المكلا كمنافس على الساحل الحضرمي[٣]، وخاصةً بعد أن اتخذها القعيطيون عاصمة لهم وذلك في عام١٩١٠م[٤] وكان من نتيجة ذلك تضاؤل أهمية الشحر كميناء[٥].

وفي منتصف هذا القرن وصف صلاح البكري الشحر بما يلي: "ومن يلقي

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. الشهداء السبعة. ص ٣٠.
(٢) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي. التطور العمراني لمدينة الشحر عبر القرون. بحث غير منشور.
(٣) سارجنت. المرجع السابق. ص ١٣٩.
(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ١٣.
(٥) للمزيد من التفاصيل حول المقارنة بين مينائي المكلا والشحر انظر سالم عمر الخضر، وعبده عبدالله بن بدر، المكلا عروس الساحل الحضرمي.

نظرة عامة على الشحر يجدها صورة من صور القرون الغابرة، ولا شك أن انصراف الحكومة عن تعميرها وعدم الاهتمام بمستقبلها وإحجام الأهالي عن إصلاحها، كل ذلك أعظم سبب للحالة المحزنة التي صارت عليها"[١].

ميناء الحامي:

تقع مدينة الحامي إلى الشرق من الشحر واشتهرت بأنها مصنع للملاحين الماهرين أكثر منها ميناء تجاريًا، وقد لعب ملاحو الحامي دورًا رائعًا في ملاحة اليمن الجنوبية منذ فجر التاريخ فهم الذين كانوا يسيرون الخط التجاري القديم بين الشحر والهند والخليج وشرق أفريقيا وجنوبها[٢].

لقد عرف أهالي الحامي بروح المغامرة البحرية واشتهروا في حضرموت بأنهم ذوو الحرف الأربع أي أن ابن الحامي ملاح بحري، وصائد سمك، وفلاح، وتاجر صغير إلا أنهم اشتهروا بالملاحة.

وبرز منهم مشاهير أمثال الملاح عوض أحمد بن عروة **١٣٣٣**هـ/ **١٩١٤**م والملاح محمد عوض عيديد **١٣٥٨**هـ/ **١٩٣٩**م والملاح عمر عبيد باصالح**١٣٦١**هـ/ **١٩٤٢**م[٣].

وفي مدح ملاحي الحامي قال الشاعر الشعبي سالمين بن عمر بن مسلم الشحري أبياتًا مشهورة في حضرموت منها:

بن مسلم قال بالناظور خايل ساعية
نتخت من زنجبار

وسطها الشبان ذي ما يحسبون التالية
يطعمون الحلو قار

(١) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٥٣.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. الشهداء السبعة. ص ٤٠.
(٣) المرجع نفسه. ص ٤١.

الطرق التجارية

الطرق البرية:

اهتم الحضارم بالطرق البرية منذ القدم، واعتنوا بها، ومهدوها وشقوا البعض منها في الجبال كما اهتموا بصيانتها وأنشأوا الآبار والمساجد عليها، كما انتشرت السقايات الخيرية على طول الطرق البرية[١]. وكانت تتم عملية نقل المسافرين والبضائع بين ساحل وداخل حضرموت بوساطة قوافل الجمال وعبر طرق سلكها السكان بوساطة الخبرات التي تكونت لديهم.

وساعد على استمرار التجارة الداخلية التي تنقلها الجمال - رغم حالة الفوضى القبلية وانعدام الأمن - أن بعض العشائر البدوية ويعرفون محليًا بالجمالين، هي التي تقوم بعملية النقل على جمالهم بأجرة يتفق عليها، فدروهم هنا مزدوج وهو عملية النقل وحماية القوافل[٢].

وغالبًا ما يتم نقل البضائع والمسافرين بين مناطق حضرموت المختلفة عن طريق القوافل التي تحتوي عددًا كبيرًا من الجمال وذلك لتعزيز عملية الحماية، ولضعف حجم النقل التجاري بوساطة الجمال، فمتوسط حمولة الجمل (**٣٠٠**) رطل مما أضعف عملية التبادل التجاري بين مناطق حضرموت[٣].

أما أشهر طرق القوافل البرية فهي التي تقوم من المكلا فالحرشيات فرعفيت فرشنيت فالمدحر فغيل الحالكة فبطح باكيلي ثم هضبة حضرموت ثم النزول من عقبة شناص إلى وادي دوعن ثم إلى وادي حضرموت، لتتجه في طريق مبسطة وسهلة إلى وجهتها في مدن الداخل. وتسلك القوافل المتوجهة من مدن الداخل

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. مجلة الثقافية الجديدة، العدد (٦-٧)، السنة الأولى، عدن، ١٩٧٧م. ص ٦٢.

(٢) أحمد عوض باوزير. حضرموت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي ما بين الحربين، من أعمال الندوة التاريخية كلية التربية المكلا. ص ٢٠.

(٣) سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ص ١٤٠.

إلى المكلاهذا الطريق نفسه.

والطريق البري الآخر يبدأ من مدينة الشحر إلى عقبة المعدي فريدة المعارة فغيل بن يمين ثم ساه ثم تميل القافلة حسب وجهتها فإما تتجه شرقًا باتجاه تريم وعينات أو تتجه غربًا باتجاه الغرف وسيئون وشبام والقطن[١]. وهناك كثير من الطرق البرية الفرعية التي تربط قرى حضرموت ومدنها.

أما الطرق التي تربط حضرموت بمناطق اليمن المختلفة فغالبًا ما تنطلق من مدينة شبام أو تتجه إلى شبام التي تعد أهم محطة تجارية في حضرموت وتقع على ملتقى طرق القوافل التجارية مما جعلها أهم مدن حضرموت[٢]. ومن أشهر هذه الطرق:

من عدن إلى حضرموت:

ترحل القوافل من عدن إلى شقرة ثم إلى دثينة ومنها تسير في هضاب إلى نصاب ثم الفوهة ثم إلى قعوضه فإلى شبام وتقطع المسافة في أحد عشر يومًا.

من صنعاء إلى حضرموت:

تقوم القوافل من صنعاء إلى رأس الفيل وتخترق وادي حريب ثم هضبة شقاق وخبوت ثم المشايعة وتسير في رمال إلى بئر عساكر ثم إلى البدوع ثم إلى قعوضه فإلى شبام وتقطع المسافة في ثلاثة عشر يومًا.

من بئر علي إلى شبام:

يمر هذا الطريق بحوطة الفقيه فالروضة ومنها إلى عماقين ومنها إلى جردان ثم شروج الهميم ثم إلى عقبة شوحم وتنحدر إلى وادي عمد ثم إلى حريضة ومنها إلى شبام وتستغرق الرحلة عشرة أيام.

---

(١) اتصال شخصي مع المعمر: سعيد بن جسار (٧٠ عامًا).

(٢) مجلة العربي. العدد (٨٥)، ديسمبر، ١٩٦٥م. ص ٨٣.

من عمان والمهرة إلى حضرموت:

تبدأ من ظفار إلى رخيوت فإلى دنقوت ثم إلى غيضة ابن بدر ومنها إلى حصويت ثم إلى قشن فإلى سيحوت ثم إلى ريدة عبدالودود ثم إلى قصيعر ثم إلى الحامي فإلى الشحر ومنها إلى شبام ومدة هذه الرحلة عشرة أيام[١].

طرق التجارة البحرية:

وللتجارة أهميتها على الساحل وخاصةً في مدينتي الشحر والمكلا، وهي تمتد إلى الساحل الشرقي لإفريقيا والهند والبحر الأحمر والساحل الجنوبي لبلاد العرب وخاصة عدن، ومسقط، وظفار[٢]. وحول نشاط الحضارمة البحري كتب حسن شهاب: "... ولا نغالي إذا قلنا إن الحضارمة كانوا بحق فينيقي المحيط الهندي، فهم الذين أسسوا المستوطنات العربية على الشريط الساحلي الإفريقي الممتد من مقديشو حتى سفالة وعلى الجزر المجاورة وهم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا والهند والفلبين وماليزيا وغيرها من بلدان الشرق الأقصى وكانت مراكبهم تغدو وتروح من بلاد العرب وشرق إفريقيا والهند"[٣].

وقد امتلكت بعض الأسر الحضرمية المراكب الشراعية واستثمرتها في عمليات النقل البحري حيث تقوم في رحلات محكومة بالرياح الموسمية، فعندما تكون الرياح شمالية شرقية يكون اتجاه الرحلة نحو الهند والشرق، وعندما تكون جنوبية غربية يكون اتجاه الرحلة نحو البحر الأحمر والساحل الإفريقي[٤].

السلع التجارية:

يعد التبغ (التمباك) أهم صادرات حضرموت حيث يصدر منه كميات كبيرة

---

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٩.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الخامس عشر. ص ١٣٤.
(٣) حسن صالح شهاب. أضواء على تاريخ اليمن البحري. دار الفرابي، بيروت، ١٩٧٧م. ص ٢٤٤.
(٤) شوقي عبدالقوي عثمان. المرجع السابق. ص ٨٧.

إلى الخارج[١]، ويليه من حيث أهمية الصادرات العسل الذي كان يعد من أجود الأنواع في العالم[٢]، ومن الصادرات أيضًا الأقمشة المصبوغة بالنيلة والصمغ العربي وزعانف السمك والبلح[٣]، وأهم ما يميز صادرات حضرموت هو أنها لم تكن مقتصرة على صادرات الأرض الزراعية المحدودة بل شملت أيضًا تصديرها للرجال المهاجرين[٤].

أما أهم الواردات فهي الحبوب بأنواعها، وجوز الهند، والسكر، والأرز، والقطن، والحديد، والشاي، والخشب، والزيوت النباتية، والحيوانية[٥].

العملة:

ارتكز التعامل التجاري بعملة الريال النمساوي وهو عملة الملكة (ماريا تريزا) ويعرف محليًا بالريال الفرنساوي[٦]. ويحتوي الريال على **(٤,٣٣,١٣٦٣)** وحدة وزن من الفضة تصل إلى حوالى **(٢٨)** جرامًا بدرجة نقاوة **(٦,٥)**، وقد اعتمد الاقتصاد اليمني في معادلاته النقدية على هذه العملة التي تسك خارج اليمن[٧].

ويرجع ظهور هذا النقد في الشرق الأوسط إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي عندما أدخله تجار هولنديون إلى جنوب اليمن، ومنه توغلت هذه العملة إلى بقية مناطق اليمن، وبعض البلدان المجاورة، وقد ظل متداولاً في حضرموت حتى الحرب العالمية الثانية[٨]، حيث تم الإعلان رسميًا عن وقف التعامل به

---

(١) Ingrams OP. Cit. P. 50.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول. ص ٢١.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الخامس عشر. ص ١٣٤.
(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٤٤.
(٥) صلاح البكري. حضرموت وعدن. مطبعة المدني، مصر، ١٩٦٠م. ص ١٧٥.
(٦) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٤٣.
(٧) عبدالعزيز أحمد سعيد حيدره المقطري، النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث. دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م. ص ٣٠.
(٨) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٤٢٢.

واستبداله بالروبية الهندية، وذلك عبر الإذاعة المحلية لمدينة المكلا[١].

وقد حظي الريال بالقبول العام في اليمن للأسباب الآتية:-

عدم وجود وحدة نقدية تكسب ثقة المواطنين في قبولها.

المحتوى الفضي له وهذه صفةٌ تجعله مفضلاً على غيره من العملات للصفات المعدنية التي يحملها كاللمعان وعدم تعرضه للصدأ أو التلف إضافة إلى التناسق والدقة في صناعته[٢].

إلى جانب الريال النمساوي تم تداول الروبية الهندية، وفي البداية دخلت الروبية الفضية الهندية مختلف مناطق الجزيرة العربية بوساطة المعاملات التجارية مع الهند[٣].

ولما كانت عدن إبان الحكم البريطاني تتبع إداريًا الحاكم البريطاني في الهند فقد كان منطقيًا أن تعمل بريطانيا على جعل الروبية الهندية العملة الرسمية في جنوب اليمن، والروبية الهندية تزن (١٨٠) وحدة وزن أي حوالى (١١,٦) جرام، وبدرجة نقاوة (١٢,١١)[٤].

والسلطنتان القعيطية والكثيرية مثلهما مثل بقية مناطق اليمن لم يكن لهما نقود مضروبة باسمهما ولم تعرفا النقود الذهبية والورقية بل لا يوجد فيهما بنك لحفظ الأموال[٥]، وكان فقط للحكومة القعيطية نوع من النقود الصغيرة المصنوعة من النحاس ولا يتعامل بها إلا في مناطق الحكومة القعيطية ويقال لها بيسه[٦].

---

(١) فتاة الجزيرة. العدد (١٣٣)، السنة الثالثة، ٩ أغسطس ١٩٤٢م. ص ٦.
(٢) عبدالعزيز أحمد المقطري. المرجع السابق. ص ٣٢.
(٣) حسين فوزي النجار. بريطانيا والجنوب اليمني. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. ص٤٧.
(٤) عبدالعزيز أحمد المقطري. المرجع السابق. ص ٣٣.
(٥) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٦.
(٦) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٤٥٦.

والغريب أن بعض الأسر الحضرمية الثرية ضربت باسمها عملات فضية مثل أسرة آل الكاف، وآل بن سهل، وبن عبدات[١] إلا أن التداول بها كان ضيقًا ومحدودًا، كما ظل التعامل بالمقايضة موجودًا ولكن في حدود ضيقة فكان الناس يتبايعون ويتعاملون في تجارتهم بالتمر وحبوب الذرة[٢].

وهكذا نجد أن بلدًا ليس لديه نقده الوطني ولا توجد لديه مؤسسات تتولى إصدار العملة الوطنية ويستخدم عملة أجنبية كل ذلك يدل على التبعية النقدية والاقتصادية للخارج، وقد دفع الاقتصاد اليمني ثمنًا باهظًا إزاء هذه التبعية[٣].

٤- الصناعات الحرفية:

يصنف علماء جغرافية هذه الصناعات تحت مايسمى بالصناعات البدائية، وهي تلك التي مارستها بعض الفئات في المجتمعات البشرية منذ وضوح التقسيمات الاجتماعية للعمل، وقد رافقت الصناعة البدائية المجتمع الإنساني عبر المسافات التاريخية التي اجتازها وتطورت معه ولكنها حافظت على تفردها بالمهارة اليدوية المتوارثة في إطار العائلة أو العائلات[٤].

وكانت اليمن في مقدمة أجزاء الجزيرة العربية في الصناعة وهي الأولى في الإنتاج أيضًا، وقد عرفت واشتهرت منتوجاتها في كل موضع من بلاد العرب[٥]، وأشهر المنتجات اليمنية السيوف، والبرود، وصناعة السفن[٦].

ولقدم الاستقرار البشري في حضرموت مثلها مثل بقاع اليمن الأخرى

---

(١) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركة الشعبية الإصلاحية، الندوة التاريخية كلية التربية بالمكلا. ص ٢٥.
(٢) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٤٤٥.
(٣) عبدالعزيز أحمد المقطري. المرجع السابق. ص ٣٦.
(٤) سالم مبارك العوبثاني. النشاط الصناعي في م/ حضرموت. بحث مقدم إلى الندوة العلمية بعنوان التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لحضرموت. ص ٢.
(٥) جواد علي. المرجع السابق. المجلد السابع. ص ٥١١.
(٦) عبدالله الثور. هذه هي اليمن. ص ٥٩.

توطنت الصناعات الحرفية في حواضرها المشهورة، ولكنها ظلت في دورها الأولي البسيط، ولا تغطي حاجة السكان[١]، وقد اشتهرت الصناعات الحرفية بحضرموت بفنها الراقي ونقوشها المنمقة وذلك بفضل تراث فني طويل[٢].

والصناعة حرفة الصانع، ويعتمد الصانع على يديه يستعملها في وضع الأشياء كما يعتمد على ذكائه وخبرته المكتسبة في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى يريدها[٣].

وقبل الحديث عن الصناعات الحرفية من المهم الإشارة إلى العوامل التي تكفل لها الحياة وهي: المواد الخام - والسوق - والعمالة.

المواد الخام:

من مميزات هذا النوع من الصناعة اعتمادها بدرجة كبيرة على المادة الخام المحلية، حيث استغلت صناعة الخوص سعف النخيل الموجود بكثرة في حضرموت، كما استخدمت صناعة الخزف التربة الجيرية والطينية لصناعة منتجاتها، ودبغت الصناعة الجلدية جلود الأغنام والأبقار والجمال المحلية بعد معالجتها.

السوق:

سبقت الإشارة إلى الأسواق التجارية في حضرموت سواء كانت أسواق المدن أو الأسواق الموسمية، وتعد هذه الأسواق من أهم الوسائل للتعريف بمنتجات الصناع، وذلك لارتياد أعداد كبيرة من الناس لهذه الأسواق.

العمالة:

تتخصص عائلات معروفة في كل نوع من فروع الصناعات الحرفية، ويتم

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٦.
(٢) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٣٤١.
(٣) جواد علي. المرجع السابق. المجلد السابع. ص ٥٠٥.

اكتساب المهارة عن طريق التوارث بين الآباء والأبناء.

ومن أشهر الصناعات الحرفية:

صناعة الغزل والنسيج.

صناعة الحدادة واللحام.

الصناعات الجلدية.

صناعة الخوص.

صناعة مواد البناء.

صناعة استخراج زيت السمسم.

صناعة الخزف.

الصياغة.

النجارة وصناعة السفن.

صناعة الغزل والنسيج:

اشتهرت اليمن عند ظهور الإسلام بصناعة النسيج والحياكة، وقد صدّرت أنواعًا من الأقمشة إلى أرجاء الجزيرة العربية[١]. وفي حضرموت اعتمدت هذه الصناعة على الخيوط المستوردة من الهند وتنسجها على الأنوال التقليدية لإنتاج الملابس الشعبية[٢]، وقد احتفظت هذه الصناعة بأهميتها في حياة السكان حتى فترة غزو منتجات الصناعات الحديثة في حوالى الثلاثينيات من هذا القرن. وأشهر مراكز الحياكة في الشحر وشبام، وهي موجودة في الشحر حتى الآن ويمكن تعليل ذلك أن الشحر كانت الميناء الرئيس لحضرموت، إلى جانب منتجات الأنوال التقليدية في الشحر وقد صمدت أمام الصناعات الخارجية

(١) نفسه، ص ٥٢٤. جواد علي. المرجع السابق. المجلد السابع. ص ٥٢٢.

(٢) سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ص ١٣٩.

لجودتها، فكانت مرغوبة عند قطاع كبير من السكان خاصةً المنتجات النسيجية ذات الشهرة المعروفة بالفوط الرجالية (السباعيات)[١] ويلاحظ أن معامل النسيج التقليدية لم تغط السوق بمنتجاتها، والبعض لها طراز واحد وقديم[٢].

صناعة الحدادة واللحام:

تختلف قائمة المنتجات الصناعية لهذه الصناعة بين الساحل الحضرمي والداخل، وكذلك تختلف المنتجات الواحدة من حيث الشكل والجودة، فهي تلبي منتجات الملاحة البحرية وصيد الأسماك في الساحل وحاجة الزراعة في الداخل. يصنع الحداد أنواعًا مختلفة من المنتجات المنزلية، مثل السكاكين، وبعض المواد القاطعة، والأواني المنزلية، والمناجل والمعازق المستخدمة في الزراعة، والمسامير والكلاليب المستخدمة في صناعة السفن والنجارة[٣].

وتعتمد هذه الصناعة على الخردة المستوردة من شرق إفريقيا والخردة الهندية، ولعل ذلك مايفسر وجودها بجانب ميناء المكلا[٤]، ومع تطور الصناعات الأوربية ومنافستها للصناعات الوطنية الحرفية قلّت أهمية هذه الصناعة، فمثلاً أصبح الحداد لايستطيع أن يصنع طنجرة أو صينية لأنها مكلفة ماديًا وزمنيًا حيث يبذل جهدًا كبيرًا في تجهيزاتها، ولكن لم تنقرض صناعة الحدادة، وتخصص الحدادون في صناعات الأدوات والمواد ذات التشكيلات المطلوبة محليًا، وفي أعمال الترميم، وهذه الصناعة لا زالت موجودة في بعض المدن الحضرمية كالمكلا والشحر والغيل.

وتتكون المحددة من الآتي:

الكير: يتكون من بناء على شكل برميل مبني من الطين لا يتجاوز ارتفاعه

(١) سالم مبارك العوبثاني. المرجع السابق. ص ٣.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٦.
(٤) سالم مبارك العوبثاني. المرجع السابق. ص ٤.

من الأرض مترًا وعرض فتحته ٤٠ سم، وهو مغلق من ثلاث جهات باستثناء فتحة لإدخال الفحم والقطع المراد تسخينها، والكير متصل عبر أسطوانة فخارية أو حديدية مع آلة نفخ جلدية لتمرير الهواء إلى داخل الكير.

مغذي الكير: وهو الذي يغذي الكير بالهواء الناتج من حركة انتفاخ الجلد في أثناء حركة الحدادة والجلد متصل بقصبة فخارية أو معدنية تدخل إلى فم الكير.

طاولة الغرب: وهي طاولة حديدية مستطيلة الوسط وفي نهايتها مثلثات يتراوح مقاسها بين ٣٠-٤٥سم تقريبًا، تثبت في أرضية المحددة تثبيتًا جيدًا ووزن الطاولة يزيد عن ١٠٠كلغم تقريبًا.

مطارق التشكيل: وهي مطارق حديدية ذات أحجام مختلفة يضرب بها الحداد القطعة الحديدية الساخنة المراد تشكيلها.

الملقاط والكمّاشة: وهي التي تلتقط القطع الحديدية الساخنة من الكير، وفي مؤخرة هذه الكمّاشة قطعة من الخشب على شكل مقبض لعزل الحرارة حتى يستطيع الحداد الإمساك بها في أثناء عملية التشكيل وهناك شخصان يعملان واحد يقوم بالضرب، والآخر يقوم بتثبيت القطعة على طاولة الضرب.

حوض الماء: وهو حوض صغير مصنوع من الفخار وأحيانًا من المعدن يوضع فيه الماء يستخدم في إطفاء القطعة الحديدة الساخنة بعد تشكيلها حتى تبرد.

ومن أشهر الأسر التي عملت بهذه الحرفة آل بازياد، وآل مزروع، وآل باعامر.

الصناعات الجلدية:

اشتهرت اليمن بدباغة الجلود ومعالجتها لتحويلها إلى مادة نافعة[١]، وقد

(١) جواد علي. المرجع السابق. الجزء الأول. ص ٢٠٦.

لعبت هذه الصناعة دورًا مهمًا في حياة السكان في حضرموت حيث مقومات وجود هذه الحرفة مثل الإبل والأغنام والماعز والأبقار، كما توافرت فيها نباتات استخدمت ثمارها وأوراقها وإفرازاتها السائلة في عملية الدباغة، وأهم النباتات المستخدمة في الدباغة شجرة القرظ، وهي شجرة عظاة لها سوق غلاظ تشابه شجرة الجوز وله حب يدبغ به وألوان يلون بها الجلود، ومن الأسر التي امتهنت مهنة الدباغة آل باجبير، وآل جوبان[١].

أما كيفية إجراء عمليات الدباغة، ففي البداية تجمع الجلود في أحواض الماء لمدة يومين أو أكثر حتى تصير لينة ثم تؤخذ وتدهن بمادة كيميائية مستخرجة من أشجار العشر والجير لمدة يومين، وبعدها تعبأ الجلود من الداخل بطحين أشجار القرظ وتحرك يوميًا من قبل العمال وتنتف الشعيرات وتستمر العملية لمدة أربعة أيام حتى تنظف تمامًا ومن ثم تغسل وتجفف تحت أشعة الشمس.

ويطلق محليًا على صناع الأحذية والمنتجات الجلدية (المخزم) وقد تمكنت هذه الصناعة من إرضاء أذواق قطاع واسع من النساء والرجال وبأسعار معقولة وبعمر إنتاجي يزيد عن معدل الأحذية المستوردة، ويصنعها المخزم بحيث تتناسب مع طبيعة الأرض الجافة والطينية والصخرية[٢]. ومن منتجات الصناعات الجلدية قِرَب الماء، والحقائب، وأغماد السكاكين، والخناجر، والأحذية وغيرها[٣].

صناعة الخوص:

تمتاز هذه الصناعة بأنها صناعة منزلية، وغالبًا ما يقوم بهذه الصناعة النساء، ويعد سعف النخيل المادة الأولية والأساسية لهذه الصاعنة الشعبية وهو موجود بكثرة في حضرموت ساحلها وداخلها، ويلون بألوان متعددة كان يحصل عليها من مادة اللون في نبات الحوير؛ وأهم منتجات هذه الصناعة المقيش

(١) خالد سالم باوزير. المرجع السابق. ص ١٣٥.
(٢) سالم مبارك العوبثاني. المرجع السابق. ص ٦.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٧.

(المكانس)، والتفال، والحصير (السلقة)، والمرابش (الزنابيل)، والقفف (حافظات الأكل).

صناعة مواد البناء:

وهي صناعة الطوب الطيني (اللَّبِن) غير المحروق، والنورة، وتمثل هذه أقدم صناعة مواد بناء في حضرموت حيث شيدت ناطحات السحاب في مدينة شبام قبل ما يقرب من خمسمائة عام من مادة قوالب اللَّبِن(١).

ويصنع الطوب الطيني (المدر) بخلط الطَّفْلة (الطين) مع مخلفات زراعية التِّبْل (من مخلفات زراعة القمح) وبعض من روث الماشية ثم يترك يتخمر فترة أسبوع أو أسبوعين، ويوضع في قوالب ذات أحجام محددة ويترك يجفف بحرارة الشمس، ويمتاز هذا النوع بأنه عازل جيد للحرارة ولا يزال يستخدم في حضرموت الداخل. ولا تمارس صناعة هذا النوع من الطوب في محلات خاصةٍ بها ولكن يتم تصنيع المدر في أماكن البناء المطلوبة بوساطة عمال البناء أنفسهم.

أما صناعة النورة فتتم عن طريق إحراق الحجر الجيري في درجة حرارة عالية وفي أفران خاصة تسمى محليًا بالأكيار، وتعد جذوع النخيل الوقود الأساس لهذه الصناعة، وكانت النورة في ساحل حضرموت تمثل العنصر الأساس للبناء المعماري، وقد احتلت النورة أهمية كبيرة في إضفاء الجوانب الجمالية على المنازل الحضرمية.

صناعة استخراج زيت السمسم:

يستخرج زيت السمسم في معاصر بدائية يستخدم فيها الجهد البشري والحيواني، وتتم هذه الصناعة عن طريق وضع كمية من السمسم في وعاء خشبي مثبت رأسًا، ويوجد في جوف هذا الوعاء ذراع خشبي قوي يربط بجوف الوعاء ويكون له امتداد خارجي، وعن طريق تدويره بوساطة الإنسان أو الحيوان تحدث

(١) سالم مبارك العوبثاني، المرجع السابق، ص٧.

عملية العصر للسمسم[١]. وقد ساعدت هذه المعاصر على تغطية حاجة السكان من الزيت، وتنتشر المعاصر في مناطق مختلفة من حضرموت.

صناعة الخزف:

كانت الأواني الخزفية هي قوام مكونات المطبخ في حضرموت، والتي تتكون من الجرة (الجحلة - الزير) والأتون (التنار) وأكواب القهوة، وتعتمد هذه الصناعة على التربة الجيرية والطينية الموجودة في وادي حضرموت فتعالجها وتشكلها حسب الأغراض المطلوبة، ثم توضع في أفران صغيرة لحرقها وتكتسب صلابة غير عادية، وتتوارث المهارة الصناعية، وفي هذه الصناعة عائلات معينة من أشهرها عائلة بخضر، ولاتزال منتجات هذه الصناعة قائمة إلى اليوم.

صناعة الصياغة:

قامت صناعة حلي الفضة على إعادة صب الريال النمساوي (ماريا تريزا) والروبية الهندية والإندونيسية التي كانت تتدفق إلى حضرموت من المهاجرين الحضارم في هذه المناطق[٢]، ويوجد في حضرموت صانعون ماهرون في صناعة الحلي والفضة والذهب، وأشهر العائلات آل باحشوان، وآل باقطيان، ومن أشهر منتجات هذه الصناعة الأساور، والخلاخيل، والأقراط، والخواتم، والأحزمة وغيرها[٣].

النجارة وصناعة السفن:

وتعد مهنة النجارة من المهن الضرورية، وتوفر منتجاتها حاجة السكان من الأبواب، والشبابيك، والدواليب، وغالبًا ما تستخدم الأشجار المحلية كجذوع النخيل، أو جذوع أشجار السدر. وأدوات النجارة الأساسية المنشار والمطرقة.

---

(١) النزول الشخصي لمواقع هذه الصناعات واللقاءات الشخصية مع الحرفيين.
(٢) سالم مبارك العوبثاني. المرجع السابق. ص ٩.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٦.

وكان النجارون يستخدمون في تجزئة الأخشاب خيطًا ملونًا باللون الأسود يمتد على الجزء المراد قطعه[١]. ومن أشهر الأسر التي مارست هذه الصناعة آل بن دهري.

وتحتل صناعة السفن أهمية كبيرة وهي تحتاج إلى مهارة خاصة وتعد صناعة السفن في اليمن من أقدم الصناعات[٢].

وكان أبناء اليمن يقومون باختيار الموقع المناسب لبناء ورشات السفن، ثم معرفة أصناف الأخشاب وجلبها من مصادرها وتجهيزها، وقامت هذه الصناعة بالقرب من السواحل وذلك لتسهيل سحب السفن إلى سطح البحر، وقد اشتهرت المكلا[٣] بصناعة عدد من السفن بأشكال وأحجام مختلفة ومن أشهرها: الزعيمة - والعبري - والبوم.

الزعيمة:

وهي نوع من السفن تصنع في المكلا، وهي ذات مقدمة منحنية، ومؤخرتها مائلة إلى الخلف، ولها سطح صغير في المقدمة، وآخر في المؤخرة، وللنوع الكبير من هذه السفن دقلان، وللصغير دقل واحد، ومؤخرة الزعيمة تشبه مؤخرة الزورق وسكانها مثل سكانه[٤].

العبري:

يتكون العبري من قاعدة مستقيمة ومقدمة طويلة ومنخفضة لارأس لها بارزة

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٧.
(٢) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٣٤٠.
(٣) يعود ظهور صناعة السفن في المكلا إلى النقيب صلاح بن محمد الكسادي عندما استأجر في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري نجارًا متخصصًا في صناعة السفن من إحدى المدن اليمنية الواقعة على البحر الأحمر يدعى إبراهيم النجار، وقد دفع النقيب الكسادي عددًا من عبيده ليدربهم النجار هذه الصنعة كما شجع بعض أبناء المكلا لتعلم هذه الحرفة.
(٤) خالد سالم باوزير. المرجع السابق. ص ١٤٢.

عن جانبيها، ومؤخرتها عالية تميل إلى الخلف، وسطحه عال في المؤخرة وسطح صغير آخر في المقدمة، أما بالنسبة للأدقال فتصمم حسب حجم العبري.

البوم:

عُرف البوم في المكلا في أربعينيات هذا القرن، والبوم يتكون من أحجام مختلفة من القارب الصغير المستخدم داخل المرسى إلى السفن التي يبلغ طولها (٢٠) قدمًا وعرضها (٣٠) قدمًا، وحمولة البوم تزيد عن (٣٠٠) طن، وللبوم مقدمة بارزة ومائلة، أما مؤخرته فتميل إلى الخلف قليلاً[١].

لقد اصطدمت الصناعات الحرفية الشعبية في فترة الدراسة بالتحديات الحضارية للصناعات الخارجية الرخيصة وذات الجودة، البعض من هذه الصناعات الحرفية انسحب تدريجيًا من حلبة المنافسة، والبعض منها ظل يقاوم وهي مستمرة حتى الآن.

لقد كانت النظرة العامة في حضرموت للعمل الحرفي عند المراتبيات العليا هي نظرة احتقار بل كان تقسيم السكان إلى مراتبيات كما ذكرنا محكوم بنسبة كبيرة بالوظيفة الاجتماعية للأفراد والعائلات، ويرى الدارس أن هذه النظرة السلبية تجاه العمل الحرفي مثلت عاملاً من عوامل التخلف الاقتصادي في المنطقة.

❁❁❁❁❁

(١) خالد سالم باوزير. المرجع السابق. ص ١٤٣.

ثانيا: الهجرة

هي عملية الانتقال الشخصي الفردي أو الجماعي من منطقة إلى أخرى بقصد الحصول على فرص معيشية أفضل، والهجرة يمكن أن تكون مستديمة خصوصًا في الهجرات الجماعية أو مؤقتة خاصةً في الهجرة الفردية. والهجرة نوعان: داخلية وخارجية، أما الداخلية فهي تحرك أفراد الوطن الواحد من منطقة إلى أخرى كتحرك أفراد السهول الداخلية إلى السهول الخارجية، أما الهجرة الخارجية فهي انتقال قسم من السكان بصورة فردية أو جماعية إلى مناطق ودول خارجية.

وقد عرف اليمنيون الهجرة الداخلية والخارجية منذ القدم وهي ليست وليدة عصر بحاله، وربما تكون معرفتهم بها قبل ظهور أولى الدول المركزية في اليمن منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا شك أن التطورات السياسية والاقتصادية للحضارة اليمنية القديمة خلال العهود المعينية والسبأئية والحميرية قد واكبها بشكل أو بآخر هجرة أعداد كبيرة من اليمنيين إلى الخارج كفاتحين أو تجار أو هاربين من نير الصراعات المحلية أو فارين من كوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات والجفاف وانهيار بعض السدود(١).

ويرى الدارس أن الهجرة اليمنية ليست قدر الشعب اليمني، وهي ظاهرة تاريخية ظهرت بفعل أوضاع محددة وفي مرحلة تاريخية معينة وسوف تختفي بتغير هذه الأوضاع، ويعد الحضارم من أنشط اليمنيين في الهجرة الخارجية واعتمادهم عليها في طلب الرزق، وقلَّ ما تجد بلدًا إلا وفيها مهاجرون حضارم(٢).

أسباب الهجرة ودوافعها:

١- انعدام الأمن، والفوضى والتمزق الذي مرت به حضرموت فمثلاً كانت

(١) عبدالله سعيد باحاج. المغتربون والتنمية في الجمهورية اليمنية. مجلة المنير، العدد الأول. ص ٥٠.

(٢) محمد علي الأكوع الحوالي. المرجع السابق. ص ١٣٣.

القبائل تمارس نفوذ الحكومة من فرض الإتاوات على المارين بمناطقها[١].

٢- حالات الجفاف التي تنتاب حضرموت من حين إلى آخر، وذلك لوقوعها في النطاق الصحراوي، وفي منطقة ظل المطر لمرتفعات هضبة اليمن الكبرى[٢].

٣- الرسائل التي يكتبها المهاجرون إلى ذويهم والتي تصور المهاجر وخاصةً الهند وإندونيسيا كمنجم ذهب يكفي الدخول فيه للحصول على الثروة الطائلة، كما كان لتشجيع الحاكم المسلم في حيدرأباد بالهند لليمنيين الجنوبيين بالهجرة كجنود يعتمد عليهم؛ من الأسباب التي دفعت بالآلاف إلى الهجرة إلى الهند[٣].

٤- ويمكن أن نورد هنا سببًا وهو السبب الذاتي لشخصية الإنسان اليمني في حضرموت الذي يتمثل في كونه يمتاز بالعقلية والنشاط التجاري، ولأنه لم يجد في حضرموت متسعًا لطموحاته نتيجة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة فقد هاجر إلى مناطق مختلفة لطلب المعيشة وإشباع رغبته في التملك والثراء[٤].

٥- نشاط الحضارم التجاري الخارجي، فمعروف قيامهم بنقل منتجاتهم وحاجاتهم من الموانئ الأخرى بوساطة سفنهم وقد استلزمت هذه العملية أحيانًا بقاء بعض التجار في الموانئ الخارجية لفترات مؤقتة ثم أغرتهم تلك الموانئ بالبقاء فيها فترات طويلة ومستديمة[٥].

مواطن الهجرة:

من أهم البلدان التي هاجر إليها الحضارم، شرق إفريقيا، وإندونيسيا، والهند، وكان المزارعون والعمال المهاجرون يفضلون الذهاب إلى شرق إفريقيا لأن نفقات السفر كانت قليلة وتتناسب وحالتهم المادية إذ يتم استخدام السواعي

(١) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ٦٤.
(٢) محمد عبدالله بن ثعلب. المرجع السابق. ص ٩.
(٣) عمر الخالدي. المرجع السابق. ص ١٤٣.
(٤) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١١٨.
(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٥٢.

كوسائل نقل، أما الميسورو الحال فكانت هجرتهم إلى إندونيسيا والهند بوساطة المراكب التجارية التي تحتاج إلى نفقات أكبر[١].

كان الحضارم يقسمون مهاجرهم إلى مناطق إعاشة فيما بينهم فيستقر المهاجرون من منطقة معينة من حضرموت في بلد معين، فيسافر المهاجرون من شبام وتريم وحوره إلى جنوب شرق آسيا، والمهاجرون من تاربة ووادي عدم والريد المجاورة إلى الهند، والمهاجرون من دوعن إلى مصر والسودان، والمهاجرون من الشحر إلى الصومال وزنجبار[٢]، ودون شك فإن هناك بعض الحالات التي تشذ عن هذه القاعدة التقليدية العامة.

كانت هجرة الحضارم إلى الهند قد بدأت في القرن الثامن الميلادي، وكان السادة والمتصوفة في طليعة المهاجرين الحضارم إلى الهند حيث استقروا في المناطق التجارية والسياسية الكبرى وكانوا بوجه عام نموذجًا للخلق الإسلامي القويم ومن أبرز هؤلاء المتصوفة أبوبكر محي الدين عبدالقادر العيدروس (١٥٧٠-١٦٢٨م) الذي عاش في حيدرأباد ودفن بها[٣].

أما أشهر المهاجرين في القرن التاسع عشر الميلادي فهم: غالب بن محسن الكثيري، وعبدالله بن علي العولقي، وعمر بن عوض القعيطي، وهؤلاء تنافسوا من أجل السيطرة السياسية على حضرموت[٤].

ولايعرف بالتحديد بداية دخول هجرة الحضارم إلى إندونيسيا ولكن الثابت أنهم دخلوها قبل البرتغاليين، فقد قال (ماركو بولو) الذي أمضى خمسة أشهر في الشاطي الشمالي من سومطرى سنة ١٢٥٢م: إن كل السكان كانوا مجوسًا وعباد أصنام عدا سكان البلدان في مملكة (بارلك) الصغيرة الموجودة في

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٤٤.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦١.
(٣) عمر الخالدي. المرجع السابق. ص ١٣٦.
(٤) جافين. المرجع السابق. ص ٣٦.

الشمال الشرقي لسومطرى لأنهم اعتنقوا الإسلام بوساطة التجار العرب[١].

ولاشك أن هجرة الحضارم إلى إندونيسيا وما حولها من الجزائر تعد من أهم الهجرات الحضرمية، فقد اخترقوا الشرق الأقصى في الوقت الذي كانت الملاحة والمحيط الهندي محفوفة بالمخاطر، وكان من أهم نتائج هذه الهجرة نشر الديانة الإسلامية في إندونيسيا وما حولها[٢].

وقد أخذ سيل الهجرات الحضرمية يزداد عامًا بعد عام ففي عام **١٩٣٥م** كان عدد المهاجرين الحضارم **(٩٩,١٠٣)** موزعين على الدول الآتية:

إندونيسيا	٧١,٣٣٥
الملايو وسنغافورا	٣,٠٠٠
الهند	١٠,٠٠٠
شرق إفريقيا	١٢,٠٠٠
الصومال والحبشة	٢,٠٠٠
السودان	٧٥٠
مصر	١٨
المجموع	٩٩,١٠٣

ويقارب هذا الرقم ثلث سكان حضرموت في ذلك الوقت[٣]، ويلاحظ أن إندونيسيا استوعبت (٧٠٪) من المهاجرين ويعزو الدارس كثافة الهجرة إلى إندونيسيا من جهة إلى طبيعة المنطقة الغنية، ومن جهة أخرى إلى حسن معاملة

(١) الأمير شكيب أرسلان. حاضر العالم الإسلامي. المجلد الأول، مطبعة عيسى البابي، مصر، ١٩٢٣م. ص ٣٦٧.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٢٤٠.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦٠.

السكان الأصليين للحضارم وشعورهم بالامتنان نحوهم لكون أجدادهم أدخلوا الدين الإسلامي إلى بلادهم. وفي هذه الهجرة مارس الحضارم أعمال التجارة، والصناعة، والأراضي العقارية، والزراعية، والسمسرة، والوظائف الكتابية، والتعليم، والتوكيلات التجارية، والخدمات المنزلية، وأعمال البناء، والمطاعم، وأعمال الشحن والتفريغ(١).

آثار الهجرة:

اعتمدت حضرموت بدرجة كبيرة على مناطق المهجر فكان الحضرمي يجلب معه من الهند وإندونيسيا وإفريقيا فرشه وأثاثه عند عودته إلى وطنه، وأصبح اعتماده كثيرًا على الأرز المجلوب من بورما والهند(٢)، ولا شك أن هذه الأنماط المعيشية الجديدة تركت آثارها السلبية على عطاء الأرض وعلى الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

وكان لتركيز المهاجرين على شراء العقارات والبيوت في المهاجر للتأجير أن خلق أسرًا خاملة في حضرموت تعتمد على إرساليات التأجير السنوي وتعيش عليه دون أن تعمل أي مشاريع اقتصادية استراتيجية في حضرموت تعود عليها وعلى السكان بالنفع(٣)، وفي هذا الصدد كتب بامطرف يقول: "طفق المهاجر في غدوه وروحه بين وطنه والمهجر يرفع تدريجيًا من مستوى معيشته ويعقد استهلاكاته المنزلية ولكنه لم يحاول إلا في حدود ضيقة لا تكاد تذكر تعمير أرضه ليجعل منها في وقته مصدر رزق أوفر مما كان على عهد آبائه وأجداده، والذي استطاع عمله في أحسن حالاته هو أن جعل بلاده تنطق بخيرات المهاجرين في الأجور والسكن والمطعم والملبس فخلق بقصد أو بدون قصد

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦٠.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤١٧.
(٣) عبدالله سعيد باحاج. الأبعاد الجغرافية لهجرة العمالة اليمنية. بحث مقدم للحصول على شهادة التعمق في البحث، تونس، ١٩٨٨م. ص ٣٢٩.

هوة سحيقة بين حضرموت الحقيقية وحضرموت الاصطناعية"[١].

ومن آثار الهجرة ظهور شخصية (التاجر الوكيل) في المدن الرئيسة إذ يكلف المغترب أحد أرباب الدكاكين أن يمد عائلته باحتياجاتهم من المواد الغذائية والملابس خلال مدة غيابه، وعندما يحول المغترب (المهاجر) بعض الحوالات يستلمها أولاً الوكيل ويرجع إلى سجلاته كي يخصم ما له على ذلك المهاجر، ويرسل ما بقي من الحوالة مع الجمّالة الذين يعودون في الرحلة القادمة مع إشعار باستلام البضائع والتحويل[٢].

ومن آثار الهجرة كذلك الثروات العظيمة التي تحصل عليها بعض الحضارم فقد وصل النقد المجلوب من الخارج في أوساط هذا القرن إلى ربع مليون جنيه إسترليني شهريًا أكثرها من إندونيسيا والملايو، حيث يوجد بها مليونيرات حضارمة[٣]، فقد كان آل الكاف يعيشون على رأس مال يقدر بـ (٢٥) مليون جنيه مستثمر في سنغافورا[٤]، ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى إسهامات بعض الأسر الحضرمية في تحقيق بعض الإصلاحات الاجتماعية بوصفه من مؤثرات الهجرة، من ذلك:

شق آل الكاف طريق السيارات بين الساحل والداخل وكلفهم ذلك (١٨٠,٠٠٠) ريال، كما أنفق آل الكاف (١٥٠,٠٠٠) ريال على ترتيبات الأمن الذي شهدته حضرموت (سنشير إليها لاحقًا)، وكانت جميع المدارس في السلطنة الكثيرية يتولى الصرف عليها آل الكاف وآل السقاف من أموال رصدوها لهذا الغرض[٥].

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٥٧.
(٢) سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ص ١٤٠.
(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤١٨.
(٤) سارجنت. المرجع السابق. ص ١٨.
(٥) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركة الشعبية الإصلاحية. ص ٢٥.

ومن الآثار الأخرى للهجرة تشابه النظام الإداري للسلطنة القعيطية مع نظيره في حيدرأباد بالهند، كذلك كانت المباني الإدارية في المكلا ذات طابع فيكتوري هندي الذي يعتمد على الأعمدة المقوسة من الأعلى، وكانت اللغة الأوردية تستعمل كثيرًا في شوارع حضرموت وأماكنها العامة[١].

ونتيجة لهجرة الحضارم إلى جزر الهند الشرقية وزواجهم من أهلها ظهر أشخاص ذوو ملامح ملاوية في وادي حضرموت[٢]، وفي الساحل نجد قسمًا من السكان يميل إلى السمرة ما بين خفيفة وشديدة ويعود ذلك إلى هجرتهم إلى إفريقيا[٣].

ولا شك أن هجرة الآباء والأزواج إلى المهاجر مع بقاء عائلاتهم في حضرموت قد جعل هذه الأسر تعيش حياة صعبة خاصةً في مجتمع كالمجتمع الحضرمي الذي يعطي للرجل قيمة وأهمية كبيرة في تسيير شئون العائلة. ومن الطبيعي أن تصطدم الأسرة الحضرمية بمجموعة من المشاكل من جراء إطالة مدة هجرة الزوج أو الأب وتزداد هذه المشكلات إذا تهاون رب الأسرة في إرسال الحوالات المالية لأسرته في حضرموت التي تعتمد عليها اعتمادًا كليًا.

كما اصطدم الحضارم بمؤثرات خارجية ثقافية وحضارية ألقت بظلالها على الواقع الثقافي والحضاري وأثرت فيه بحدود معينة، وعلى العموم كانت الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة وخيمة على الحضارم فقد خلقت رخاءً مستعارًا ومزيفًا ويعتمد على مصادر غير موثوق بها وجعلت المجتمع بأسره يعتمد عليها في حل مشكلاته وأزماته المباشرة، وقللت من ثم من إمكان اللجوء إلى الاعتماد على الذات، لهذا يرى الدارس أن الهجرة أضرت بالحضارم أكثر مما نفعتهم.

---

(١) عمر الخالدي. المرجع السابق. ص ١٥٠.

(٢) Ingrams. op. cit. p. 44.

(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول. ص ٢٢.

ثالثا: المواصلات

كانت المواصلات في اليمن بدائية بحيث لا يوجد فيها بكاملها شبكة مواصلات عصرية[١]، فقد عمل الحكم الإمامي في شمال اليمن، والحكم الاستعماري في جنوب اليمن؛ عملا على جعل مناطق اليمن عزلاء حتى بين المدن والقرى المتجاورة مما جعل الاتصال بين السكان صعبًا[٢]، وكانت الطرق البرية وعرة، وتسير بمحاذاة الأودية، وبالقرب من مصادر المياه[٣].

أما أهم وسائل النقل فهي:-

الجمال والحمير:

تعد الجمال الوسيلة الأساسية لنقل المؤن والبضائع والمسافرين خصوصًا للمسافات الطويلة، أما الحمير فتكون غالبًا في المسافات القصيرة، ويقوم بعملية النقل الطويل أصحاب الجمال (الجمّالة) الذين يتخذون من عملية النقل حرفة اعتمدوا عليها في حياتهم المعيشية، ويوجد بالمدن الرئيسة محطات خاصة للجمال تكون على استعداد للتحرك (في حالة وجود المسافرين أو البضائع) بين الساحل والداخل والعكس. ومن أهم نتائج استخدام هذه الوسائل للنقل ضعف الترابط بين مناطق حضرموت من جهة، وحضرموت وبقية مناطق اليمن من جهة أخرى، فمثلاً تقطع المسافة من الشحر إلى تريم في ثمانية أو تسعة أيام[٤].

السنابيك والسفن الشراعية:

وهي من وسائل النقل البحري فالسنابيك تستخدم إلى جانب مهمتها الأساسية في صيد الأسماك فهي تقوم أحيانًا بنقل الركاب والبضائع بين

(١) عدنان ترسيسي. المرجع السابق. ص ٦٠.
(٢) عبدالله أحمد الثور. هذه هي اليمن. ص ٧٢.
(٣) حول الطرق البرية في حضرموت، انظر صفحة (١٢٦- ١٢٧) من هذا الفصل.
(٤) محمد بن هاشم. رحلة إلى الثغرين. ص ٢٤.

السواحل القريبة وحمولتها من الأفراد قليلة، وذلك لصغر حجمها ولأنها تعتمد في حركتها على المجهود البشري بوساطة المجاديف. أما السفن الشراعية[١] أو المراكب فهي تقوم بعملية النقل الكبيرة للمسافرين والبضائع وتعد حلقة الوصل بين الموانئ اليمنية والموانئ الخارجية، كما تعد أهم وسائل النقل الخارجية وبوساطتها هاجر الحضارم إلى السواحل الإفريقية وسواحل شرق آسيا.

وفي حدود ضيقة استخدم الإنسان كوسيلة للنقل خاصةً عند نقل النساء والمسنين والمرضى فقد يؤجر الأفراد لحمل شخص معين ونقله إلى منطقة ما وغالبًا ما يكون الحمالة أكثر من أربعة أشخاص، وتتم عملية النقل بوضع الشخص المنقول فوق سلقة مستطيلة على أربعة أركان بحيث لكل ركن رجل واحد وتسمى (المجانة) وتستخدم هذه الوسيلة البدائية غالبًا في حالة نقل المرضى.

السيارات:

بدأت السيارات في الظهور في حضرموت منذ عام **١٩٢٤**م إلا أن أعدادها كانت قليلة، ولم تنافس عملية النقل بالجمال إلا بعد الحرب العالمية الثانية وتركز وجودها في مدينة المكلا، والشحر، وسيئون، وتريم، وشبام[٢]، وقد استلزم وجود السيارات شق الطرقات وتعبيدها ومن أشهر الطرق وأقدمها:

الطريق الشرقية:

وهي طريق تربط ساحل حضرموت بداخله بطول (**٢٠٠**) ميلاً. وكان أكبر الممولين لهذه الطريق السيد أبوبكر بن شيخ الكاف، وقد واجه هذا المشروع في البداية صعوبات كثيرة اعترضت تشييده وتتمثل هذه الصعاب في خوف سكان البادية من تهديد السيارات لمصدر رزقهم الأساسي وهو نقل الركاب

(١) حول السفن الشراعية وسبقت الاشارة عنها في بداية هذا الفصل.
(٢) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ٢٢.

والمسافرين بين مناطق حضرموت المختلفة[١]. ولتذليل هذه الصعاب اتصل أبوبكر الكاف بالقبائل التي يمر الطريق في مناطق نفوذها القبلي وعقد معهم اتفاقيات (وثور) تعهدوا فيها بالسماح بمرور السيارات والركاب دون الحمول بأرضهم وهذه القبائل هي آل جابر والمعارة[٢] وقد طمأن أبوبكر الكاف القبائل وحاول إزالة مخاوفهم من كساد كراء (أجرة) جمالهم إذا تكاثرت السيارات، وبذل الكثير من المال لقاء رضاهم بمرور السيارات بأرضهم[٣]، كما اتصل أبوبكر الكاف بالسلطان عمر بن عوض القعيطي لمساعدته في إنجاز هذا المشروع خاصةً في مناطق نفوذ السلطنة القعيطية، ومن جانبه وعد السلطان عمر القعيطي بمساعدة أبي بكر الكاف في ذلك[٤]. وقد تم فتح هذا الطريق عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٣٧م[٥].

الطريق القبلية:

يربط هذا الطريق ساحل حضرموت بمنطقة دوعن، وقد افتتحه السلطان صالح بن غالب القعيطي، وفي كتاب الرحلة السلطانية[٦]، الذي فيه وصف كامل لهذه الطريق والمناطق التي يمر بها، لم يحدد بالضبط تاريخ شق هذا الطريق ولكن في ثنايا الكتاب ذكر السلطان صالح بأنه بينما هو ومن معه في طريقهم لافتتاح هذه الطريق التقط إذاعة برلين وسمع أخبارًا تتعلق بالحرب العالمية الثانية، ونستنتج من ذلك أن الطريق شق في أثناء الحرب العالمية الثانية.

---

(١) Dvan Der Meuler and Wissman op. cit. p 133.

(٢) انظر نص الاتفاق بين كل من آل جابر والمعارة وأبي بكر بن شيخ الكاف في: عبدالقادر محمد الصبان، لمحة عن حياة البادية. ص ٢٧-٢٨. ومحمد بن هاشم رحلة إلى الثغرين. ص ٢١-٢٢.

(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٢٠.

(٤) انظر نص المراسلات بين عبدالرحمن، وأبي بكر الكاف، والسلطان عمر بن عوض القعيطي في: محمد بن هاشم. رحلة إلى الثغرين. ص ٤٤-٤٨.

(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦٢.

(٦) السلطان صالح بن غالب القعيطي. المرجع السابق. ص ٧.

واختصر هذا الطريق الكثير من الزمن إذ أصبحت تقطع المسافة بين المكلا وشبام في ثلاثة أيام[١]، بينما تقطع بالجمال - كما ذكرنا - في ثمانية أو تسعة أيام.

ومن الطرق التي تربط عاصمة السلطنة القعيطية بسواحلها الغربية طريق المكلا - ميفعة الذي تم افتتاحه في ١٦ مايو ١٩٤٥م من قبل السلطان صالح بن غالب القعيطي والمستشار البريطاني المقيم (فنست جلاندي)[٢]، وتكمن أهمية هذا الطريق في كونه يربط السلطنة القعيطية بأهم المناطق الزراعية الساحلية، إضافة إلى ربط المكلا بعدن.

النقل الجوي:

أما النقل الجوي بوساطة الطائرات فقد كان محدودًا وفي إطارخدمة النفوذ والمصالح البريطانية، ففي أثناء الحرب العالمية الثانية بنت بريطانيا عددًا من المطارات العسكرية، واستخدم مطار الريان للأغراض العسكرية والمدنية[٣].

وأما وسائل الاتصال الأخرى مثل البريد فحتى الثلاثينيات من هذا القرن لم يكن لها وجود في حضرموت وترسل الخطابات لأصحابها من غير طابع بريد وذلك بوساطة المسافرين[٤]، وذكر محمد عبدالقادر بافقيه أنه صدر عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م أول طابع بريد باسم الدولة القعيطية وكان قيمته حرفًا أي ما يساوي آنتين (2 ANNAS)، ولكن الطابع كان كما يبدو مجرد مشروع وتزامن مع العام الذي عقد فيه المؤتمر الإصلاحي في الشحر[٥].

---

(١) فتاة الجزيرة. العدد (٣٨)، السنة الأولى، ١٥ سبتمبر ١٩٤٠م. ص ٨.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٢٧٣)، السنة االسادسة، ٢٧ مايو ١٩٤٥م. ص ٨.
(٣) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٤٣-٤٩.
(٤) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٧.
(٥) محمد عبدالقادر بافقيه. شيء من تلك الأيام، صحيفة الأيام، العدد (١٠٢)، أكتوبر، ١٩٩٢م. ص ٦.

وفي بداية الأربعينيات من هذا القرن بدأت الخدمة البريدية فعليًا تدخل حضرموت وبدأت الناس تستحسن إرسال خطاباتها عبر البريد، ونلحظ ذلك الاستحسان في الرسائل التي نشرت في صحيفة فتاة الجزيرة التي منها هذان المنوذجان: "إن نظام البوسطة على حداثته بحضرموت متجه نحو التقدم، وأصبحت الرسائل والتحارير بفضل مدير البوسطة الشيخ عبدالله بن محمد مكارم تؤخذ من مرسلها وتصل إلى أربابها كما جرب ذلك مرارًا كثيرًا وتوزع عليهم بأسلوب مضبوط خلق الثقة"(١).

والنموذج الثاني: "انتظم سير البريد هذه الأيام انتظامًا حسنًا قضى على تلك الفوضى التي كثيرًا ما أهملت الرسائل وكثيرًا ما عرضها للتلف والضياع وقد خصصت سيارة البريد إلى وادي دوعن الأيمن والأيسر وما جاورهما والكسر وشبام"(٢).

وكانت الخطابات التي ترسل من الساحل إلى الداخل ترسل مع القوافل التجارية أما المستعجلة فترسل مع شخص يقال له (المكتب) فيسرع هذا المكتب في إيصال الرسائل إلى ذويها بأقصر الطرق فهو يقطع المسافة بين المكلا وشبام في ثلاثة أيام بينما تقطع بالسير المعتدل في ثمانية أيام ويدفع المستلم للرسالة مبلغًا زهيدًا من المال أو قليلاً من الحبوب كأجرة لإيصال الخطاب(٣).

ويرى الدارس أن تخلف وبدائية وسائل الاتصال أسهم مع عوامل أخرى في تكريس حالة التخلف والركود الاقتصادي الذي شهدته حضرموت في فترة الدراسة.

❁❁❁❁❁

(١) فتاة الجزيرة. العدد (١٠٧)، السنة الثالثة، ٢٨ فبراير ١٩٤٢م. ص ٦.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (١٤٥)، السنة الثالثة، ٨ نوفمبر ١٩٤٢م. ص ٨.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص١٣٧.

رابعا: المجاعة

يقصد بها حالة القحط والجفاف التي أصابت حضرموت والتي أدت إلى نقص كبير في التغذية المحلية التي يعتمد عليها السكان، وانعدام الغذاء المجلوب من الخارج نتيجة لانقطاع الاتصالات مع العالم الخارجي في أثناء الحرب العالمية الثانية.

أسباب المجاعة:

١- الجفاف الذي شهدته حضرموت في أثناء الحرب العالمية الثانية وانقطاع الأمطار لمدة ثلاث سنوات(١).

٢- انقطاع تحويلات المهاجرين الحضارم في إندونيسيا والملايو وسنغافورا(٢) التي تقدر بثمانمائة ألف جنيه(٣)، وذلك بسبب الحرب العالمية الثانية.

٣- تخلف وركاكة البنية الاقتصادية لحضرموت وعدم الاستخدام الأمثل لإمكانات الطبيعية المتاحة وغياب دور الحكومات المحلية، والسلطات الاستعمارية في خلق مشاريع تنموية ذات أهداف استراتيجية.

المعالجات:

حاولت الحكومات المحلية في حضرموت والتجار تخفيف وطأة المجاعة، ففي السلطنة القعيطية تبرع الموظفون بنسبة ١٪ من مرتباتهم لصالح ضحايا المجاعة(٤)، ولكن كان الأهم من ذلك هو بروز العمل الشعبي التطوعي الخيري

(١) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤١٥.
(٢) أحمد زين السقاف. أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية. مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٥م. ص ٧٢.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦٠.
(٤) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٢٣.

الذي أسهم إلى درجة كبيرة في تخفيف حدة المجاعة، وأنقذ العشرات من الموت المحقق، ومن أمثلة هذا العمل الشعبي قيام عدد من الجمعيات الخيرية منها :-

الجمعية الخيرية :

أُسست خصيصًا لمواجهة المجاعة في حضرموت، وكان صاحب الفكرة ثم المشارك الفعلي في تأسيسها هو الشيخ القدال سعيد القدال (ناظر المعارف) وقد أسندت رئاستها له وكان أيضًا الشيخ القدال سكرتير الدولة القعيطية[١]. وكان دخل الجمعية من الجمارك على البضائع الواردة، ومن التبرعات الخيرية[٢]. وبلغت اشتراكاتها الشهرية (٦) آلاف روبية وكان السلطان صالح القعيطي يسهم بـ (٥٠٠) روبية شهريًا[٣]، وقد بلغت إيرادات الجمعية عام ١٩٤٤م (٣٠٠,٠٠٠) روبية[٤]. وقد حققت الجمعية بعض الإنجازات منها :-

١- أسست ملجأ يضم العجزة والمرضى من ضحايا المجاعة.

٢- فتحت مطاعم في المكلا والشرج[٥] لإطعام الجوعى.

٣- منحت مساعدات ثابتة ومتفرقة في قرية الأطفال من ضحايا المجاعة[٦].

جمعية التعاون الخيرية :

أسهمت هذه الجمعية في تخفيف شدة المجاعة، وكانت تحت رئاسة الشيخ صديق خان ويتولى عبداللطيف بن منصور أمانة صندوقها العام، وتوزع هذه الجمعية مائة رغيف يوميًا، وأعضاؤها من جميع نواحي وادي حضرموت ومن

(١) يطلق على الوزير الأول في السلطنة القعيطية سكرتير.
(٢) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص٧٨.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٠)، السنة السادسة، ١٥ يوليو ١٩٤٥م. ص ٣.
(٤) فتاة الجزيرة. العدد (٢٤٣)، السنة الخامسة، ٢٢ أكتوبر ١٩٤٤م. ص ١٠.
(٥) الشرج: هي الضاحية الغربية لمدنية المكلا.
(٦) محمد سعيد القدال. الشيخ القدال باشا. ص ٧٩.

عدن كالشيخ علي بن محمد بازرعة، وعمر حسن مدي[١].

جمعية المواساة:

تأسست بتبرعات أغنياء المكلا وأسهمت في التخفيف من المجاعة[٢]. ولعب بعض المثقفين دورًا في تعزيز تكاتف الناس وحث الأغنياء في الداخل والخارج على مزيد من الدعم ولفتوا أنظارهم إلى الواقع السيئ والصعب الذي مرت به حضرموت، ونلحظ ذلك من خلال مقالات الاستغاثات التي بعثوا بها إلى صحيفة فتاة الجزيرة ومن أمثلتها:

(أيها الأغنياء أنقذوا الفقير فكلنا للتراب)[٣].

(لقد دخلت حضرموت الحرب العالمية الثانية لأنها نالت ما أصاب البلدان المتحاربة من عناء ويسهل الموت في ميدان القتال ويصعب الموت جوعًا ويهون العذاب تحت أزيز الطائرات ولا يهون الشعور بانعدام الطعام)[٤].

كما كتب الأديب حسين محمد البار رسالة استغاثة جاء فيها:

(إن أبناء وطنكم يموتون جوعًا فهل تضنون عليهم بدريهمات حقيرة تشتروا بها حياة عزيزة غالية من يد الموت المحقق)[٥].

فلبى الكثير من المهاجرين نداءات الاستغاثة ونشرت صحيفة فتاة الجزيرة أسماء الكثير من الذين تبرعوا لصالح ضحايا المجاعة، وتفاوتت نسب التبرعات حسب قدرة الأفراد، فبينما تبرع البعض ببعض روبيات تبرع البعض الآخر بآلاف الروبيات[٦]، ومن التبرعات الكبيرة ما تبرع به كل من عامر بن نهيد بن

(١) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٠)، السنة السادسة، ١٥ يوليو ١٩٤٥م. ص ٣.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (١٩٩)، السنة الرابعة، ٥ ديسمبر ١٩٤٣م. ص ٩.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (١٩٩)، السنة الرابعة، ٥ ديسمبر ١٩٤٣م. ص ٩.
(٤) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٥)، السنة السادسة، ١٩ أغسطس ١٩٤٥م.
(٥) فتاة الجزيرة. العدد (١٨٢)، السنة الرابعة، أغسطس ١٩٤٣م. ص ٤.
(٦) فتاة الجزيرة. الأعداد (١٩٨-١٩٩-٢٠٠)، السنة الرابعة. ١٩٤٣م.

طاهر النهدي، وعلي بن محمد بازرعة اللذين تبرع كل منهما بستة آلاف روبية والشرط الوحيد لهذه التبرعات هو أن تصل إلى سكان حضرموت الساحل والداخل[١]. ويدل هذا أولاً على الرغبة الأكيدة في العمل الخيري، وثانيًا على زوال الحساسيات والنزاعات بين ساحل وداخل حضرموت على الأقل في أثناء المجاعة التي كانت محكومة أصلاً بظروف التجزئة السياسية والقبلية، والمصائب توحد أكثر مما تفرق.

وقد حاول البريطانيون إنقاذ بعض المنكوبين من خلال فتح مطابخ لإطعام الجائعين واستخدام الطائرات لرمي أكياس الأرز[٢]، كما بعثت الحكومة البريطانية بالمستر (هارتلي) الخبير الزراعي إلى حضرموت لتقديم النصائح الزراعية للفلاحين وإرشادهم إلى طرق مكافحة الأحوال الطبيعية وطبيعة البلاد الصحراوية[٣]، وقد استغل البريطانيون هذه المجاعة لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية في حضرموت، وذلك من خلال زيارة عدد من الضباط البريطانيين[٤]، وكذلك إظهار أنفسهم وكأنهم المنقذ لأهل حضرموت، وتحسين صورتهم، ويلاحظ أن المساعدات لم تكن بحجم الكارثة والدليل على ذلك سقوط الآلاف من الضحايا.

ورغم أن المجاعة خفت حدتها في أواخر الحرب العالمية الثانية وبدأت تفتح في المكلا عشرات المراكز لبيع الحبوب والدقيق بأسعار متهاودة[٥]. إلا أن شبح المجاعة ظل يهدد حضرموت، وذلك لأسباب طبيعية فقد أصيبت المزروعات بوباءين وباء الحمار وهي حشرة تصيب أشجار القمح فتفسد الكثير

(١) فتاة الجزيرة. العدد (١٧٧)، ٢٧ يونيو ١٩٤٣م. ص٧، والعدد (١٩٢)، ١٧ أكتوبر ١٩٤٣م. ص١٠.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني. ص ٤١٦.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٢٢٩)، السنة الخامسة، ١٧ سبتمبر، ١٩٤٤م. ص ٤.
(٤) جافين. المرجع السابق. ص ٦٤.
(٥) فتاة الجزيرة. العدد (٢١٥)، السنة الخامسة، ٢ إبريل ١٩٤٤م. ص ٣.

منها ووباء الجراد وقد أدى ذلك إلى نقص حاد في الغذاء.[١].

آثار المجاعة:

مات عشرات الآلاف من السكان كضحايا لهذه المجاعة[٢]، وكان وقع المجاعة ثقيلاً على سكان المناطق الداخلية من حضرموت[٣]، وخصوصًا سكان البادية إذ إنهم حتى في الأوقات العادية يعيشون على الكفاف تقريبًا في مناطقهم القاحلة، وفي سنوات المجاعة نضب ما لديهم من غذاء وفنيت حيواناتهم من إبل وغنم وماعز من الجوع والعطش[٤]، وقد دفعت هذه المجاعة بأعداد كبيرة من سكان المناطق الداخلية إلى اللجوء إلى المناطق الساحلية وذلك لتوافر فرص النجاة من الموت في الساحل أكثر من الداخل.

و لا يوجد إحصاء رسمي عن عدد الضحايا في هذه المجاعة وكان متوسط عدد الوفيات الذين يموتون في المكلا من الجوع لا يقل عن ثمانية في مدينة المكلا وحدها، أما بقية المدن فربما كانت النسبة أكبر وأخطر[٥]، وعلى العموم لقد تركت هذه المجاعة آثارها الأليمة والعميقة في الوجدان الحضرمي وخلقت حالة من الحذر الشديد والخوف من المستقبل عند معظم معاصريها.

❁❁❁❁❁

(١) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٠)، السنة السادسة، ١٥ يوليو ١٩٤٥م. ص ٣.
(٢) محمد أحمد الشاطري. المرجع السابق. ص ٤١٥.
(٣) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص ٧٨-٧٩.
(٤) ايفاهويك. سنوات في اليمن وحضرموت. تعريب: فيري حماد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٢م. ص ١٤٥.
(٥) فتاة الجزيرة. العدد (٢١٣)، السنة الخامسة، ١٩ مارس ١٩٤٤م. ص ٧.

خامسًا: مالية السلطنتين القعيطية والكثيرية

السلطنة القعيطية:

مر النظام المالي للسلطنة القعيطية بمراحل مختلفة فقد اعتمدت السلطنة في بداية تأسيسها على المبالغ المرسلة من أموال الأسرة القعيطية الحاكمة الموجودة في حيدر أباد بالهند إذ كانوا يتحصلون على أموال ضخمة من خزينة النظام ويتوارثون رتبة الجمعدارية. ولمّا استقرت السلطنة صارت تعتمد على دخلها من الجمارك وعلى بعض الضرائب القليلة[١]. وبلغت عام **١٩١٩م (٣٤٠,٠٠٠)** ريال نمساوي[٢]، وكان يتم تحصيل هذه الضرائب في عهد السلطان غالب **(١٩٠٨-١٩٢١م)** عن طريق مستحقات السلطنة من الجمارك والضرائب على النحو الآتي:

١) ميناء المكلا وبروم مؤجر على بيت (جمعة لالا)

٧٠ ألف ريال نمساوي في السنة

٢) ميناء الشحر والديس والحامي وقصيعر مع بيت حاج لالا

٦٠ ألف ريال نمساوي في السنة

٣) ميناء شحير وأجور أراضي وعشور التمباك

٧٠ ألف ريال نمساوي في السنة

محصلات التأجير **(٢٠٠,٠٠٠)** ريال نمساوي[٣].

ولم يكن لهذه الجمارك نظام خاص وقواعد ترتبط بها فتثمين المعشرات

---

(١) محمد أحمد الشاطري. ادوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني. ص ٤١١.

(٢) Doreen Ingrams -leila Ingrams Records of Yemen 1798-1960. Vloune. 6. 1914 - 1923. p. 242.

(٣) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٥٢.

يخضع لتقديرات رجال الجمارك[١]، ولكن بمقارنة النظام الضريبي للسلطنة القعيطية مع النظام الضريبي للسلطنة الكثيرية نرى أن النظام الضريبي في السلطنة القعيطية أفضل[٢]. ويرى الدارس أنه في ظل الفوضى الإدارية ومحدودية وثبات دخل السلطنة لا بد أن يؤدي إلى اختلالات في الميزانية لهذا عانت السلطنة القعيطية أزمات اقتصادية شديدة نتيجة لعدم قدرتها في مواكبة متطلبات السلطنة المتجددة والطارئة، ولاشك فإنه في ظل هذه الوضعية يكون من غير المنطقي الحديث عن التنمية الاقتصادية.

وعندما تولى عمر بن عوض القعيطي السلطة بعد أخيه (١٩٢١ - ١٩٣٥م) كانت السلطنة مَدِيْنَةً بأكثر من مليوني ريال نمساوي، فعمل السلطان عمر على تسديد الديون من أموال الأسرة في الهند حتى انقضت فترة التأجير[٣]. كما قام السلطان عمر ببعض الإصلاحات الإدارية والمالية يمكن تحديدها بالآتي:

١- أسس الإدارات المالية تحت إدارة مسلم بن عوض بلعلا، ومساعديه محفوظ بن علي وحدين، وسالم أحمد باصديق، ومالية الشحر تحت إدارة محسن بن حسين لرضي، ومساعديه عبدالله بن محمد بشهر، وصالح بن سالم باسلوم، وسعيد وحدين، ومالية غيل باوزير تحت رعاية وإشراف الناظر العام على ممتلكات الدولة في منطقة الغيل وشحير[٤].

٢- منع وزيره حسين بن حامد المحضار من صرف إكراميات أو إعفاءات جمركية كانت تخصم من (محصلات التأجير).

وتكمن أهمية هذه الإصلاحات في كونها تمثل الخطوات الأولية في تكوين

---

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٨٧.
(٢) Doreen Ingrams -leila Ingrams. op. cit. p. 242.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. صفحات من تاريخ حضرموت. ترجمة الزعيم السيد حسين بن حامد المحضار، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٣م. ص ٨٠.
(٤) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٥٢.

مؤسسات مالية منظمة للسلطنة ولكن فترة توسيع هذه المنظمات وتنظيمها جاءت في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي (١٩٣٦ - ١٩٥٦م)[١]. الذي اعتمد في إدارة مؤسسات السلطنة على الموظفين الأجانب، وكان يعتقد أن الحضارم غير قادرين على تسيير الأمور على الوجه المناسب ففي خطبة التولية على العرش قال أمام أعيان وقبائل حضرموت ما يأتي: "... فسامحوني أن أجاهركم والأسف ملء فؤادي لا يكاد يظهر بين ظهرانيكم أحد فيه مقدرة وأهلية لإدارة الأمور بأحسن وجهة وسأتصدى لهذه الثلمة بعون الله تعالى".

ويقال إن أول ميزانية وضعت للسلطنة القعيطية كانت عام ١٩٤٣م[٢]، وأشار صلاح البكري إلى جوانب من صرفيات وواردات السلطنة القعيطية وهي في سنة ١٩٣٦م كان دخل السلطنة (٣٦٠,٠٠٠) روبية، وفي سنتي ١٩٤٤م - ١٩٤٥م (١,٥٠٠,٠٠٠) روبية وكان المنصرف على موظفي الحكومة سنة ١٩٤٤م - ١٩٤٥م (١,٦٠٠,٠٠٠) روبية[٣].

ومن خلال هذه الإحصاءات يلاحظ أنه ارتفع دخل السلطنة القعيطية بعد تسع سنوات من تولي السلطان صالح إلى أربعة أضعاف وكان العجز بنسبة ١,٥٪ وهذا مؤشر على النمو الاقتصادي الذي شهدته السلطنة بعد الإصلاحات الإدارية والمالية.

السلطنة الكثيرية:

لم نعثر على وثائق ومصادر تشير إلى ميزانية معينة تحدد واردات وصادرات السلطنة الكثيرية ويمكن أن نعزو ذلك للآتي:

---

(١) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. ص ٢٥٤.
(٢) صالح سيعد بن عكظة. (رئيس المحاسبين بإدارة مالية السلطنة القعيطية) مقابلة شخصية عام ١٩٩٥م.
(٣) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢١٦.

١- كانت السلطنة الكثيرية لاتوجد بها مؤسسات مالية منظمة تنظم الإيرادات والصادرات.

٢- أن السلطنة الكثيرية لا تتعدى أن تكون سلطنة متواضعة لبضع مدن وعدد قليل من القرى.

وقد اعتمدت السلطنة الكثيرية في بداية تأسيسها على إرسالية سلطانها الأول غالب بن محسن الكثيري، وعلى المعونات التي تتلقاها من أثرياء العلويين، ثم صارت تعتمد على ضرائب المعشرات الزراعية وعلى ضرائب مفروضة على التجار والأغنياء. وأكثر دخلها من الضريبة التي تفرضها على من لهم ثروات كبيرة في جنوب آسيا[١]، فمثلاً كانت أسرة آل الكاف تفوق ميزانيتها الخاصة ميزانية السلطنة الكثيرية[٢]، ويدفعون كل عام (٦,٠٠٠) ريال نمساوي دعمًا للسلطنة الكثيرية[٣]، ويذكر البكري أن إيرادات السلطنة الكثيرية ضئيلة جدًا فهي لا تتجاوز (١٥٠,٠٠٠) روبية[٤]، وهي بذلك تمثل ١/ ١٠ من واردات السلطنة القعيطية.

❁❁❁❁❁

(١) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤١١.
(٢) جعفر محمد السقاف. الحركات الإصلاحية والشعبية في حضرموت. ص ٢٥.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦١.
(٤) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢١٣.